

الآن نفتح الصندوق

MOHACT
rewayat2.com

د. أحمد خالد توفيق

قبل أن نفتح الصندوق...

لم تنته الأوراق التي امتلأ بها صندوق الدكتور محفوظ، فالرجل كما هو واضح لم يجمع مالا وإنما جمع ذكريات ، ولو وقع هذا الصندوق في يد واحد لا يعشق الخيال فلسوف يكون مصيره سلة المهملات، لكننا بالطبع نختلف...

الصندوق المغلق له سحر خاص في كل الثقافات، وله كذلك رهبة خاصة.. قد يحوي كل شيء أو لا شيء.. قد تزيد ثراء أو قوة أو خبرة.. قد تزيد رعباً أو توجساً.. قد نفهم الحقيقة المريعة التي كنا غافلين عنها، وهي أن الحياة ليست مكاناً آمناً كما كنا نتصور، وأن الغفلة التي ننعم بها نعمة حقيقية.. غفلة الأطفال الذين يلعبون جوار الخرائب غير عالمين بما يتحرك هناك..

ربما نحصل على هذا كله، وربما لا نحصل على شيء سوى لذة الترقب..

كل شيء قد يوجد في الصندوق المغلق أو لا يوجد.. كنز من الياقوت والعقيق.. أسرار القنبلة الذرية.. جنة متحللة.. يد مومياء.. ثلاثة (فلاد).. صور مصفرة حال لونها.. وثائق وعقود لم تعد لها قيمة.. صرصور.. عنكبوت.. لا شيء..

لقد أحب القراء الكتاب الأول، لهذا نقدم لهم الكتاب الثاني وكلنا أمل في أن يظفر بذات الإعجاب أو يزيد عليه قليلاً...

من جديد سوف نجد الكثير من الأسئلة ومعظمها بلا إجابة، لكن التساؤل نفسه هو المتعة التي نجنيها من قصص كهذه.. أو كما يقولون: الرحلة هي الهدف..

تعال نشعل شمعة.. انظر خلفك لتتأكد من أنك وحيد في هذا القبو.. لا أحد يحب أن يقرأ هذه الأمور بينما كيان مجهول متسرّب بالظلام يقف خلفه.. لا شك أنك توافقني على ذلك.. ابحث عن صندوق آخر لتجلس إليه.. تد يدك.. تأكد من أن ما تمسك به أنامك ورقة وليست شيئاً آخر.. انتزع الورقة الأولى واقرأ ما فيها...

إنها تقول التالي.....

المقبرة رقم ٣٤

هناك على الضفة الغربية لنهر النيل في الأقصر - نحو ستة كيلومترات
للغرب - يمكنك أن ترى وادي الملوك..

صحراء مترامية وشمس حارقة وهضاب على الجانبين تنضج ببطء
في لهب شمس الظهيرة، بينما يتفرق المياح هنا وهناك يلتقطون الصور
في نهم..

ولد وادي الملوك مع الأسرة الثامنة عشرة، وظل الملوك يدفنون فيه
حتى الأسرة العشرين..

لا تتساءل كثيراً عن الحال منذ أربعة آلاف سنة عندما لم تكن هناك
وسائل مواصلات ولا حافلات مكيفة، وكان العمال يأتون إلى هذا
المكان حفاة عراة على أقدامهم من معسكراتهم في منطقة (دير المدينة)
حاملين مومياء هذا الملك أو ذاك، ثم يقيبون في أعماق الجبل لينجزوا
تلك النقوش الرائعة.. الحر والعرق والافتقار للأكسجين وبرغم ذلك
يصنعون هذا السحر.. هل كان هؤلاء القوم يتحملون أكثر منا بكثير أم
هم كانوا سحرة فعلاً؟

يقال إن هذا الوادي قد اختير بسبب سهولة الوصول من النيل له،
كما تسهل حراسته حيث تحيط به التلال العالية، بالإضافة إلى جودة
الحجر الجيري الذي تتكون منه جباله.. لا تنس أن الفراعنة كانوا ذواقة
صخور حقيقيين، وعلى الأرجح كانوا شعباً من علماء الجيولوجيا..
وكذلك بسبب وجود الجبل الذي يرتفع جهة الجنوب على شكل القرن
والذي يمثل هرمًا طبيعيًا..

وادي الملوك..

يا له من مكان يثير الخيال!.. اللورد البريطاني (كارنافون) بقبعته
العالية وعصاه وتحذلقه، والمغامر الأمريكي (كارتير) بقميصه مفتوح
الكمين يبعثان في الصخور ليجدا قبر (توت عنخ آمون). القبر الذي بدأ

كل هذا الكلام عن لعنة الفراغة التي فُشل الجميع في البرهنة عليها، لكن - وهذا رأيي - لم ينجح أحد في نقيها بالكامل.. دعتك من اللغز الغامض المخيف الذي يحيط بالمقبرة رقم 55 والتي سوف نتحدث عنها في قصة أخرى..

أنا قد زرت وادي الملوك مرارًا.. لا أحد يزور الاقصر من دون أن يزور وادي الملوك.. ويمكن القول إنني أعرف عم (هردي) جيدًا ومن الغريب أنه يعرفني..

لا يوجد شيء خاص يميزه.. إنه خفير صعيدى أسمر اللون كأنه جاء لتوه من طمي النيل، له سنة ذهبية جميلة، وهو يحمل بندقية حكومية كتب عليها رقمها بالطلاء الأبيض، ويضع تلقية سميكة ولا يكف عن التدخين..

شخصية جاءت من أعماق الأدب العالمي، فلو رأها نجيب محفوظ أو ماركيز أو جوركي لما تركوها، ومن المؤسف أنني لا أفهم أكثر كلامه لأنه يتحدث بلهجة صعيدية قحة، أما تلك اللهجة المضحكة التي يستعملونها في المسلسلات التلفزيونية على طريقة (مليح جوي يا بوي) و(ماخايرش) فهي لهجة لا وجود لها اصطنعها الممثلون اصطناعًا..

يراني عم (هردي) فيصالحني.. بعد أعوام صارت المصالحة عناقًا.. لا أعرف كيف يتذكرني وسط كل من يراهم يوميًا.. (الطقط) يصل ليفرغ حمولته من كل الجنسيات.. ترى يابانيين سفراء ضيقي الأعين، وأوروبيين لهم لون الكابوريا المسلوقة، وطلبة جامعات مصريين، لكنه يتذكرني أنا بالذات..

“لك وحشة يا استاذ..”

ثم يجلس على تلك الدكة الخشبية بجوار مدخل مقبرة أحد (الرمسيات) الذين يعج بهم وادي الملوك، ويتفتت دخان لغافة التبغ حائلًا..



هكذا أتركه وأدخل المقبرة الأولى أو الثانية..

كيف لي أن أعرف أن لعم (هريدي) سرًا لا يبوح به؟.. وكيف لي أن أعرف أنه سيصارعني به يومًا ما؟

عندما يقترب اليوم من نهايته يعلنون عن قرب غلق وادي الملوك أمام الزيارات. يبدأ السياح يركبون (الطقطف) متجهين إلى الخارج. الشمس الحارقة على الدوام تتناوب وتعلن أنها مرهقة.. تتناوب..

الموجودات تتلون باللون الأزرق.. كل شيء يبرد..

من بعيد وراء الجبال تتلون السماء بلون أرجواني، ويبدأ البرد.. برد الصحراء الذي يفترق العظام..

إنه الآن وحيد تمامًا.. هناك زملاء له في عدة مواضع لكنهم متفرقون، وعمله هو أن يمضي ليلته هنا.. ليس كل ليلة..

تجربة كهذه تعبت القلب تمامًا، لهذا كف عم (هريدي) عن أن يشعر بالذعر منذ دهور.. لم يعد يقلقه شيء، وعندما يزداد الظلام كثافة ويصير الأزرق أسود، فإنه يشعل النار ويخرج عدة الشاي.. عشرات الأكواب حتى الصباح وهو جالس هذا قرب المقبرة رقم 34..

الآن صار الظلام داسًا فلا شيء يؤنس سوى النار المتراقصة وصوت مذياع صغير أعطاه إياه سائح ياباني منذ أعوام. الجبل.. مقابر الفراشة..

من بعيد يسمع صوت ابن آوى يضحك.. يسمع صوت كلب يعوي، ربما هو نئب لأن الصوت موحش عميق، لكن من هو الصعيدي الذي يخاف صوت نئب؟..

يرفع صوت المذياع ويشعل لفافة تبغ أخرى..

ينظر لساعته.. إنها الحادية عشرة مساء..



ليس اسم المقبرة 34 كذلك بالطبع.. هذا هو رقمها بالنسبة لوزارة الثقافة، فمقبرة توت عنخ آمون مثلاً هي المقبرة رقم 62. لكن المقبرة 34 تخص (تحتس الثالث)، ليست سهلة قريبة مثل باقي المقابر لكنها تحتاج إلى مشقة تسلق الجبل وارتقاء درجات ونزول درجات.. مفامرة لم تعد سنه تسمح له بالمرور بها..

هو لا يعرف شيئاً عن (تحتس الثالث).. ما يعرفه من المرشدين الذين يمشون مع وفود عربية هو أنه كان قائداً كبيراً وكان يمت بمسلة قرابة له (تحتسبصوت).

الآن منتصف الليل..

يراه من بعيد وسط الظلام يهبط فوق الصخور بتؤدة.. لقد رآه عشرات المرات من قبل..

القائمة الفارعة والصمت.. يقترب في ببطء.. في ببطء.. حتى يصير في ضوء النار. يمكنك أن ترى ملامحه القسيمة السمراء ووجهه الصلب كأنما قد من صخر..

منذ أعوام كان هذا المشهد يجمد الدم في عروقه، وفي المرة الأولى صرخ وراح يستعيز بالله من الشيطان الرجيم. من أنت وكيف دخلت هنا؟.. الجبانة كلها مغلقة.. لا أحد يستطيع الدخول..

لكن الغريب الذي جاء من بين التلال جلس.. قال له بصوت عميق: "لا تسأل أسئلة كثيرة.."

ثم مد يده يمسك بكوب الشاي الفارغ، فراح الخفير يصب له بيد ترتجف..

يجلس الغريب صامتاً ينظر للجبل المظلم.. يسأل الخفير عن قرينته.. عن أبنائه..

هكذا تمضي الساعات وهما جالسان حول النار.. ثم يقترب الفجر

فبينهض الغريب بلا كلمة ويتجه إلى الجبل، ويرقى الصخور من دون كلمة واحدة... يتعد حتى يختفي..

ويظل الخفير جالساً وحده مفعماً بالحيرة والأسئلة..

لماذا لم يسأل أكثر؟.. لماذا لم يصوب بندقيته على رأس هذا الغريب؟.. بكل المقاييس هو متصل إلى الجبابة ويجب أن يقتاده إلى الشرطة أو يطلق عليه الرصاص..

لكنه كان يعرف أكثر.. لماذا لم يصف أي واحد من زملائه الخفراء تجربة مماثلة؟.. من هذا الغريب الذي يظهر في الجبل فجأة؟.. لماذا لا يتكلم؟.. لماذا لا يظهر بانتظام بل ليلة واحدة أو ليلتين في الشهر؟ أدرك عم (هريدي) بلا أسئلة أن هذا الغريب ينتمي بشكل ما إلى... إلى... هو لا يجرق على أن يقولها..

كل هذا غريب، والأغرب أنه بدأ مع مرور الأعوام يأنس إلى هذا الغريب القادم من المقبرة رقم 34، هو يحضى الليل وحيداً في عزلة مخيفة، لهذا لم ير بأساً في أن يجد بعض الصحبة الأدمية.. من قال إنها أدمية؟

صحبة وخلاص.. المهم أن هناك من يجلس معه جوار النار ويشرب الشاي معه، والأهم أنه يبعد عنه الكلاب المسعورة.. لقد رأى كلباً يدنو من النار ذات ليلة، وكان يزار بشكل مخيف.. صوب (هريدي) بندقيته نحوه مستعداً لقتله لو تمادى، لكن الكلب تصلب إذ نظر له الغريب.. تراجع وهو يزوم بشكل مثير للشفقة ثم قرع مبتعداً..

مع الغريب أنت في مأمن من الكلاب والذئاب والثعابين...

عرفت هذه القصة من عم (هريدي) لما توطدت صداقتنا أكثر، وقد اعتبرتها هلاوس من عجوز قضى حياته كلها ساهراً في جبل مظلم وسط مقابر.. لكن حماسه للقصة جعلني أزداد فضولاً..

إن لي صلات مع أناس مهمين جدًا، وقد رتبوا لي أن أقوم بجولة في وادي الملوك ليلاً مع أحدهم.. اسمه (صبري) وهو رجل نحيل عصبي ملول يريد الانتهاء سريعاً من هذا المسحف..

هكذا مشينا في الظلام وسط الجبل متجهين إلى الموضع الذي اعتاد عم (هريدي) أن يسهر فيه، ودعوت الله أن تكون هذه من الليالي التي يرى فيها ذلك الغريب..

عواء ابن آوى يتردد.. الحق أن المكان مخيف فعلاً.. لو إنني قضيت ليلة هنا لرأيت آمون وست وحورس أنفسهم يمضون الليل معي.. مشينا في طريق طويل ترابي ثلثت وكان القمر ساطعاً فلم نحتاج لإضاءة وهذا من حسن حظي، وأخيراً قال لي (صبري):

“لو اقتربنا أكثر لرأنا الخفير.. يجب أن نتواري في مكان قريب..”

كانت هناك مقبرة لها مدخل غائص في الجبل، هكذا تسللنا إلى هناك لنبتعد عن العيون، ومن هذا الموضع استطعنا أن نرى على بعد خمسين متراً (راكية) النار والخفير جالساً أمامها.. هنا تصلبت..

كان يكلم شخصاً غير مرئي أمامه.. يصب الشاي له ثم يناول الكوب... يتكلم بلا انقطاع..

نظرت لصبري ونظر لي ثم ابتسم وقال:

“كما توقعت أنا بالضبط.. الرجل قد جن وأخترع رفيقاً وهمياً يمضي معه الليل..”

هزرت رأسي.. القصة أبسط وأسف مما توقعت ولم تكن تستحق هذا المشوار الليلي.. تمنيت أن تكون كذلك وقد كان..

قلت لصبري إنني سأدور حول الخفير من الخلف لألقي نظرة أخيرة.. نظرة واحدة بعدها نرحل بالسيارة التي تنتظرنا خارج الجبابة.

هز رأسه في ملل، فانطلقت أركض منخفض الرأس خلف اللافتات التي تشرح تفطيط كل مقبرة.. تسلقت بعض الصخور لتمكن من رؤية المشهد بشكل أفضل.. بالفعل كان الخفير العجوز جالساً يكلم الهواء بلا انقطاع.. يشرح أشياء.. يشير نحو الجبل.. مشهد مخيف لكنه غير خارق للطبيعة.. الخوف من الجنون يختلف عن الخوف الذي يسببه شخص غامض يخرج من مقبرة (تحتمس الثالث) ليلاً...

كان عواء ابن آوى يتردد من بعيد.. طبعاً.. هذه مقابر...

رحفت أكثر.. وهنا شعرت بشعور غريب بأن هناك من يقف قربي.. التفتت في توتر فرايت في الظلام الدامس مشهداً غريباً بعض الشيء.. لو اطلقت لخيالي العنان لقلت إنه إنسان عملاق له رأس ابن آوى.. كان يقف هناك بين الصخور ويظهره لي ناظراً نحو القمر، وكان يصدر خواراً مكتوماً.. ربما بعد لحظات يطلق عواء عالياً آخر...

(أنوبيس)... سيد المقابر.. المشرف على التحنيط..

لقد رسموه إنساناً له رأس ابن آوى لأنهم رأوا بنات آوى تملأ المقابر... صوت العواء الذي كان الخفير يسمعه كل ليلة لم يكن من هنجرة ابن آوى لو أردنا الدقة...

لا أعرف كيف ولا متى انطلقت ساقاي تحلقان فوق الرمال والصخور، ولا أعرف كيف اصطدمت بصبري في الظلام فهتف في حلق:
"ماذا هناك؟"

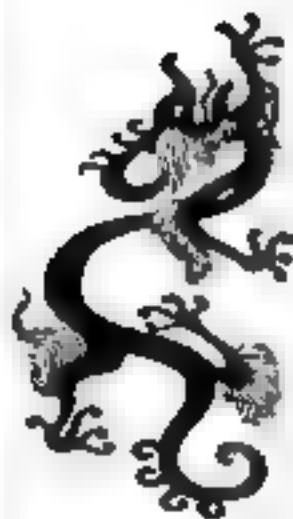
قلت وأنا أجره من يده:

"هذه المقابر مسكونة فعلاً.. مسكونة بالخوف.. مسكونة بالرؤى والظلال.. إما إنني رأيت ما رأيته فعلاً وإما أن هذا الخفير كان على حق عندما اخترع لنفسه رقيقاً.. من المستحيل أن تمضي هنا بضعة ليال من دون أن تجن.. فقط علينا أن نرحل.. الآن.."

لم يعلم شيئاً وأما لم أفهم..

فقط اذکر آند کتا مرکب صو السیارة بیما عواء ایی یثرد من
جدید وسط الجبال.

وكان عم (هريدي) يحكي لطيفه الغريب قصة أخرى على وجه
النوران.



سوء تفاهم

يقع الشاليه المذكور في العجمي. لا إن أعطي أية تفاصيل أخرى، لكن
يمكنك أن تعرف لماذا هو مهجور، ولماذا لا يتحدث عنه السماسرة، ولماذا لا
يقيم فيه أحد على الإطلاق ويتحاشون المرور جواره ليلاً.

الحق إنني كنت أرى في كلامهم المليء بالهتياش شيئاً من المطلق، عندما
تمر بقربه في الليل وترى الرمال المظلمة بلون الفحم، وترى موج البحر
يرتفع لعنان السماء كجبال سود أو عالق غصبي. تسمع الصوت اسرهيب
لعصبة الطبيعة، وتمصر الشاطئ المظلم الخالي. ثم الشاليه انكثب يقف
وحده هناك منبؤداً ملعوناً. عندها يمكنك أن تصدق أن هناك شيئاً ما

كانت الإجارة قد بدأت، وأنا من الناس الذين يعتقدون الاصطيفاف
بشدة. أشعر بأنه عادة بشرية سحيقة يمارسها الدس لأن الناس
يمارسونها. أنظر لعبور الناس الواقفين في الشرفات ساعة العصر
خاوية حائرة مليئة بالملل، فأدرك أنهم يتوقون للعودة إلى بيوتهم وأنهم
يشتهون ساعة الخلاص، لكن هذا مستحيل. هناك قوة عظمى كاسعة
اسمها الاصطيفاف. أقوى من جميعاً وهي لا ترحم ولا تبالي بما نريد

هم يزلون إلى البحر ليسبحوا سباحة الكلاب، ربما حيث لا تترك
أقدامهم القاع لحظة. أجساد متهللة حالية من الجمال والقوة والرشاقة،
ثم يصعدون إلى الشط ليتمرغوا كالحمير الوحشية في الرمال، ثم يجلسون
شاعرين بالملل ويتشاجرون، قبل أن يخرجوا في الليل ليمشوا في أعنى
مناطق الأرض أرحاماً وكأنهم يشاركون في مظاهرة في الصين لو كانت
هناك مظاهرات في الصين. كل هذا وهم مقتنعون أنهم يستمتعون، بينما
هم جميعاً جاءوا مثلي مصطربين..

أما كنت مصطراً وقد حثت إلى العجمي مع زوجتي وأولادي ومجموعة
من أوغاد الأسيرة الصغار. وشرعنا نمارس الطفوس الصيفية المعتادة
الكريهة..

عندما جاء المساء كلمتني (مشوي) المراهقة ابنة أخي عن ذلك الشاليه،
وكيف حكى لها أحد حراس الشاطئ عن العروسين اللذين وجدا مقتولين

في الصباح منذ ذلك الحين لم يسكن أحد ذلك الشاليه، ولم يطلب أحد ذلك هناك أشياء عربية تحدث

الشابان (مراد) و(مصطفى) اللذان يقيمان مع أبويهما في الشاليه امجاور حكياتي ذات القصة تقريباً إيهما شابان صغيران مهذبان من الطراز الذي يقول (عمو) واعتقد أنني أرتاح لهما.

عندما جاء مساء اليوم التالي أدركت أن الأمور ليست على ما يرام لأن (شوى) راحت ترتجف كورقة وأصرت ألا ترى ذلك الشاليه المخيف بأي ثمن، وفي الصباح قالت لي روجتني إيهام لم تتم وإنها نقلت العدوى لأطفال الأسرة كلهم لهذا لم يمم أحد...

قلت لهم في غيظ

“الحرافة مهمة في حياتنا وممتعة الصرافة تسلينا وتشحذ خيالنا، لكن لا يجب أن نتصحم حتى تحبل حياتنا حقيماً. أنتم تعرفون أن هذا كلام فارغ لا يوجد مكان في العالم مات فيه شخص ما إلا وراحت هذه الإشاعات تلاحقه، وأنتم تعرفون أنه - بعد ملايين السنين التي مرت بالكون - لا يوجد مكان في لأرض لم يموت فيه شخص ما إذن لابد أن يوجد شبح في كل مكان نمشي فيه”

لكن كلامي لم يذهب لهم طمأنناً، ولم يبد أن (شوى) سمعتني أصلاً..

جاء المساء ومن حديد بدأت هستيريا الخوف والتوتر هكنا اتحدث فراراً جريئاً ثورياً لقد بحثت في حقيقتي عن الكشف وطلبت من (شوى) أن تلحق بي..

حافية القدمين على الرمال البنية راحت تركض ورائي وهي تسأل في قلق

“مانا هبالك يا عمو (محفوظ)؟”

قلت في حرم:



”أسوأ أنواع الخوف هو الخوف الذي لا تعرف سببه ولا مصدره
لهذا سأدخل الشاليه الذي مفرغك. لم أقل إني سأدخل بل سيدخل معاً..
سوف تدركين أنك مخرفة..“

قالت وهي موشكة على الفرار
”لا بد أنك تمزح.. لن أفعل هذا أبداً..“

قبضت علي معصمها بقوة وقلت،
”بين مدخل الآن إن إصرارك على عدم مواجهة هذا الرعب سوف
يفسد إجازتك وإجارتنا ستجدين أن هذا مجرد شاليه مهجور. لا أكثر
ولا أقل“

كنا تقريباً نقف على الباب الآن. رأيت القفل في مكانه كما توقعت،
لكنني لم أفس النافذة مصراع النافذة رأيت به يتراقص مع الريح مند
يومين، وخطر لي أن الحمقى نسوا النافذة مفتوحة هذا مدخل لا بأس به
لأن الشاليه من طابق واحد..

قلت لها معذراً:

”هذه النافذة مفتوحة هذا يعني أننا يمكن أن نقابل فاراً أو قطاً أو كلباً
ضالاً أو متسكفاً امسكي أعصاك ولا تعشي الدنيا صراخاً، ثم تحكين
في كل مكان عن الشبح الذي وجدناه.“

ومشيء من الصعوبة تسلقت على قطع القرميد البارزة، وهشرت
جسمي من الفتحة، ثم نظرت لها اطلب منها أن تتسلق ومددت لها يدي.
كانت حفيظة الورى طمعاً.

كنا الآن نقف في مكان اعتقد أنه غرفة من غرف الشاليه خالية تماماً
فلم يتركوا فيها شيئاً من الأثاث، والرائحة كريهة مما يدل على أن نظرية
الكلب الصال لا بأس بها..

كانت تقف حواراي متلاحقة الأنفاس، ثم هتفت وهي تشهق:

”هناك من يتحرك بالخارج! صوت ضحك مكتوم!“



هذا صحيح.. سددت بكفي الكشاف بحيث صار الضوء يتألق بين
أنا وبين كجوهرة حمراء، ورحنا نرحف ببطء خارجين من القرفة.
اصطدمت في انطلام بمنصدة خشبية تحركت فشعرت أن العالم كله قد
انهار.

وهناك وقفنا في انطلام نلهث لا صوت. يبدو أننا كنا واهمين. ثم
أشرت إلى نافذة أخرى تراقص لتظهر الشاطئ العالي بالخارج هذا هو
مصدر الصوت على الأرجح..

فجأة شعرت بها تعتصر ذراعي من جديد. هذه المرة رأيت بوضوح
بقعة مور واهنة شبه فسفورية كأنها عين قط تتحرك في القرفة المحاورة.
لا شك في هذا.

فجأة دوى صوت ارتطام قوي لا أعرف مصدره وسمعت صوت
حشب يتهشم وصرخة مكتومة..

هذه المرة لم أعد أستطيع مواصلة المنطق البارد. تعالي بفاذر هذا
المكان المحيف....

الأرض مبتلة هنا ولا أعرف السبب. لهذا انزلت قدمي فاصدرت
صوت أين، ثم نهضت وهرعت أهدمها من ساعدها نحو النافذة التي
دخلنا منها...

ساعدتها على التسلق للخروج وهي تشهق لكن الذعر أنساها أن تبكي
أو تصرخ وسرعان ما سمعتها تسقط في الخارج على الرمال. تسلفت
الحافة بدوري ووثبت..

وسرعان ما كنت أجري خلفها نحو الشاليه الأمن المزدحم
الخاص بنا.

لقد كانت ليلة الاثنين ليلة سوداء فعلاً، ويبدو أنني سأبحث عن تفسير
لا رأيناها زمناً طويلاً.

لم ييم أحد، حتى إن زوجتي بدأت تتكلم عن ضرورة قطع الإجازة

والعودة.. قلت لها إنها جنت كالجميع يجب أن تنسى الأمر ونعمرس حياة طبيعية أتوق للعودة فعلاً لكن ليس بسبب أصوات في شاليه مهجور مع الصباح اتجهت إلى البحر لابساً المايوه الخاص بي، وهو يذكر بمأبوهات إسماعيل يس في الأفلام القديمة هناك بنات أبلل قدمي توطئة للتوغل بضعة أمتار كالعادة، هنا سمعت الشابين (مراد) و(مصطفى) يناديانني.. كانا قد لبسا المايوه بدورهما وتأهبنا لسباحة صباحية قصيرة

سألني (مراد) وهو يتوغل في الماء أكثر
 - "تبدو مرفقاً يا عمو..."

- "لا أحد ينام جيداً في الصيف يا بني لو أردت رأيي"
 ووثبت مع موجة عالية أولى توشك على أن تعلو حتى تبلغ صدري.
 قال (مراد) في شيء من العجز والحيث الطفولي.
 - "إن فكرة هذا الشاليه لم تفارقنا، ولقد قمت مع أخي بمغامرة صغيرة في الظلام . اتجهنا هناك وبحثنا عن مدخل موجودنا نافذة نسوا أن يغلقوها هكذا تسلقنا إلى الداخل..."

هنا تصليت. هذا الكلام مهم جداً وماذا حدث؟

أردف الفتى وهو يشب فوق موجة جديدة.

- "دخلنا في الظلام وكان معي كشاف تسفوري صغير كشاف من الطرار الذي يثنت في القذاحات . الصبي تصنع هذه الأشياء كثيراً كان أخي يحمل زجاجة ماء سقطت منه على الأرض وهرغت أفزعنا هذا كثيراً لأن الأصوات تبدو مهسمة في الظلام. كننا رأينا في هذه اللحظة شيئاً مرعباً رأينا ضوءاً أحمر كجمرة مشتعلة يتحرك في الظلام"¹

بدأت ابتساماً نعرو قصصات وجهي، لكني سألت في اهتمام
 - "وماذا بعد؟"

- "كانت هناك متصدة خشبية سمعنا من يرتطم بها. هذا داس أخي

على لوح سرير حشمي موضوع على الأرض فإن وصرخ لأنه كاد يهشم
ساقه بعد قليل سمعنا من يعلما - على ما يبدو - ويصرخ الماء كأن
هناك من امزلق على الأرض..

.. وماذا بعد؟

.. لا شيء . لم نتحمل أكثر فبادرنا بالفرار هنا الشاليه مسكون ولا
شك في ذلك.

كنت اصطحك بلا توقف وهما ينظران بي في دهشة
لقد لعب كل منا دور الشبح بالنسبة للآخر كنت أنا و(مشوى)
شبحهما الخفيف، وكأنا هما شبحا المرعب. الماء الذي انسكب على الأرض
هنا صاحباها. المصيدة التي تحركت كنت أنا محركها
الحق أن كلاً منا أثار هلع الآخر لأقصى حد، ولسوف تضحك نشوى
كثيراً عندما أخبرها بهذه القصة. بلوب بلوب بلوب! لقد نسيت الموج
مجات موجة عاتية ألقت بي إلى الدرع احتجت إلى ربح دقيقة حتى
اتمكن من الوقوف على قدمي والتنفس ثانية..

رحمت ابصق الماء المالح من عمي وأمني وقلت لهما:
.. الحقيقة هي أنني جعلت الشاليه في ذات اللحظات. كنت مع مشوى
ابنة أخي، ولم نعرف أنكما موجودان. كل فريق كان يسمع الصوضاء
التي يحدثها الفريق الآخر ويرتجف! ليلة أمس الاثنين كانت نموذجاً
عبقرياً لكوميديا الموقف. كوميديا سوء انتقام المولييرية الاصيله!

هنا تبادل الشبان النظرات ثم قال (مصطفى) في تهديد:
.. عمو نحن لم نقل قط إن هذا حدث ليلة أمس الاثنين. ما يحكي لك
عنه حدث منذ ثلاثة أيام! خذ العذر! إن الموج يوشك على أن يقذف بك
ثانية!... ماذا هناك؟



أعرف جيدًا

أعرف جيداً أنه أشعل لفافة تبغ وراح ينظر لليل الصامت خارج الشرفة.

أعرف أن ملايين الخواطر تراجمت في ذهنه وهو يتأمل لفافة التبغ. الطرف الذي يتوهج ثم يخبو.. يتوهج ثم يخبو. هذا تأثير قريب من التقويم المغناطيسي..

على الأرجح عاد إلى الغرفة هنا. أعرف أنه جلس إلى مكتبه وفتح الدرج. بحث في مجموعة الأوراق حتى وجد واحدة لم يخط عليها. أعرف أنه بحث بين الأقلام عن واحد يصلح. هذا جف حبره، هذا تقياً حبره. هنا مكسور. أخيراً وجد واحداً وخط على الورقة أول خط.

لا بد أنه توقف هنا. لا بد أنه نظر للشرفة. وجد أنه من السخف أن يكتب كل شيء، والرسالة المعتادة بدت له سخيفة مبتذلة لهذا كرم الورقة وألقاها على الأرض..

أعرف أنه أخرج اليوم الصور وراح يقلب الصفحات. صورته وهو طفل سعيد عاقل، كل مشكلته في الحياة أن أباه لم يبتع له (الأيس كريم) الذي كان يتوق له. صورته في سن المراهقة مع أصدقائه جوار سور المدرسة. صورته وهو شاب في الجامعة. صورته مع (هالة) صورته معي وهو يناقش رسالة الماجستير عن إرهابيات الواقعية في المدرسة الرومانسية.

أعرف أنه أشعل لفافة تبغ أخرى.. لا يوجد وقت كاف للإصابة بسرطان الرئة. لا بد أنه راح يتأمل حفات الدخان المتصاعدة. لا بد أنه تذكر أنه لم يستطع قط إحراج حلقات دحان من فمه مهما حاول. لا بد أنه ابتسم للفكرة..

أعرف أنه انتهى اللفافة فبغها في قدح القهوة. ما تبقى منها. أعرف أنه فتح الدرج من جديد وأخرج المسدس، وتحسسه بأنامه مدظر الرجل الجالس إلى المكتب ومسدس في يده يذكره بصورة مدير المصرف الذي أفلس بسبب الاحتلاس أو المقامر الذي حصر كل شيء، كما

تراهما في القصص العربية لا بد أنه انتسم للفكرة مرة أخرى..

أعرف يقيناً أنه الصق الفوهة بصدعه وأنه شعر بالعنن البارد الفاسي هناك يضغط على شريانه أعرف أنه تحسس الزناد أنه أغعض عينه .. أنه ضلّط الزناد القاسي..

أعرف أنه لا يعرف أي شيء عما حدث بعدها.

أعرف أن الحزن المجهول من رحلته قد بدا هو ليس رحالة من الرواد يبحر إلى بلاد التوابل، بل هو يبحر إلى الأرض التي رحل لها كل بشري من قبل، لكن أحداً لم يعد ليحكي، وفي هذه اللحظة تفوق علينا في أنه عرف. فقط لم يعد من حقه أن يعود بمعرفته تلك لعائنا

أعرف أنهم اتصلوا بزوجته (هالة) التي اتصلت بي. كانت تولول في الهاتف فاسترعت منها الكلمات بكثير من العسر قالت إن (هوذي) مات من المهين لكرب، الروجة أن يمتهر زوجها. لا بد من أن يظل حياً إلى أن تقتله هي بالضغط..

كان أول سؤال قلته هو (لماذا؟)، لكنها كانت قد وصفت السعادة هو سؤال سحيق على كل حال

هكذا وجدت نفسي هناك في مكتبه أنظر إلى الفوضى التي سبها انظر إلى قبح القهوة ولعامة النع الأحيرة واليوم الصور. لا بد أن الكل يتساءل عن السبب. بأنفعل لم يترك أي شيء. لا حطانات ولا تسجيلات صوتية ليست روحته من الطرار الذي يدفع أزواجه للانتحار (لهوري) تلميذي وهو أديب لا بأس به ورجل قوي الشخصية. وليس من الطرار الذي يعر أو هذا ما كنت أحسبه عنه.

هناك في المشرحة كانت الجثة ممددة على مائدة من رخام. وكان العم مفتوحاً وفي العين نظرة خاوية.. الصدغ قد نسف بالكامل. أنا رأيت موتى كثيرين لكني لم أتعود المشهد بعد وخاصة لو كنت أعرف القليل جيداً

أسأل الطبيب الذي وقف هناك ينظر لي



.. هل مات في الحال؟

.. ماذا تظن؟

.. ولماذا انتحرت؟.. هل يعرف أحد؟

منظر لي في عدم فهم وقال:

.. "تقصد لماذا قتل؟.. هذا ما تريد قوله هذه جريمة قتل من تحدث

عن انتحار هنا؟"

ثم شرح لي السبب لم يكن الرجل قدبصاً على مسدس لم يكن
المسدس موجوداً لقد تسلسل القاتل إلى مكتبه وأرغمه على أن يفتح له
الأدراج بحثاً عن شيء ما ثم ثبت فوهة المسدس إلى صدغه وأطلق
الرصاص المتحرون لا يتخلصون من المسدس بعد انتحارهم

كنت أنا أنظر إلى الجنة في عاء تذكرت أن أحداً لم يقل حرفاً عن
الانتحار.

بكني أعرف جيداً ما حدث

كأنني كنت هناك لقد رايت كل شيء كاملاً وأنا جالس في منزلي،
ولا أملك تفسيراً سوى العلاقة الروحية القوية بيني وبين (فوري) ربما
هو القاطن ربما هو نوع من إحساس الروح بروح مماثلة لا أعرف
بالضبط.

أعرف جيداً حالة الاكتئاب التي دهمته مؤخراً أعرف خلاصه مع
زوجتي. أعرف أن شيئاً لم يعد يثير اهتمامه ولو أنه وجد مليون جنيه لما
كلف نفسه بأن يأخذها أعرف أنه كلف عن القراءة ولم يعد يكتب حرفاً
لم يعد يمارس عمله وأخذ إجازة لمدة شهرين.

أعرف أنه لم يعد يأكل تقريباً، وأن شقيقته حالية من الطعام باستثناء
كيس بلاستيكي فيه بقايا فول ونصف رغيف من عني الموقد.

أعرف أنه يتعاطى علاج الاكتئاب صراً وبلا جدوى تقريباً أعرف أن
التفريغ يوقف منذ أشهر فلم يكلف خاطره بإصلاحه



أعرف أن لديه مسدسًا مرخصًا يملكه منذ الفترة التي تلقى فيها تهديدات بالقتل بسبب خلاف عائلي. أعرف أن فكرة الموت تروق له بشدة.

أعرف أنه أعطاني مفتاح بيته كي أعمل له اللازم لو حدث له شيء، وأنا سحرت منه وقلت له أن يكف عن هذا السحق.

لكنني كنت جالسًا في داري وسط صخب العيال وأهمهم، عندما شعرت بذلك الخاطر يتردد في ذهني "تخلص من المسدس. لا أريد أن تملوث سمعتي". هكنا يتردد بلا إعطاح. دخلت إلى غرفتي وأغلقت الباب لكن الصوت ظل يتردد "تخلص من المسدس أرجوك".

ومع انخاطر كانت مشاهد مما يسميه السيمبانيون (هوتوموناج)، أراه يجلس إلى المكتب. يحاول كتابة شيء. يشعل لفافة تبغ هكدا عرفت ما حدث..

كانت الحادية عشرة مساءً لكنني عابرت البيت مسرعًا وانطلقت بسيارتي إلى بيته. فتحت الشقة بالمفتاح الذي معي ودخلت متوجسًا. كان المشهد الذي رأيته مظيغًا. الدم يلوث كل شيء. من الدهش أن رأسا يهودي كل هذا الدم فرغت من الرجفة والهستيريا وصار علي أن أكون عمليًا.

"تخلص من المسدس. لا أريد أن تملوث سمعتي". هذه هي الرسالة التي تلقيتها. أنا أعرف أنها منه فلا تقنعني بالعكس من فضلك.

هو لا يريد أن يعرف الناس أنه انتحز. هناك عباء في هذا على كل حال، فلو أراد لامتلع بعض أقراص الدواء تاركًا هامشًا من الشك في حدوث خطأ في الجرعة، أو سقط من الشرفة. كل الساقطين من الشرفات يتركرون علامات استفهام تتراوح بين الحادث والانتحار والقتل.

على كل حال انتزعت المسدس من يده وديسسته في حبيبي. فتحت كل الأدراج في مكتبه بعد ما لفعت يدي في مبدل. لا أعتقد أنني لمست أشياء كثيرة، لكن من المتوقع أن تكون بصماتي هنا على كل حال. أنا الوحيد الذي يزوره..

هل يجرون احتلار (المولاج) هنا في مصر؟. هذا الاحتلار يمكنه أن يعرف إن كان هو الذي أطلق الرصاص أم لا، من أثر التلرات على أصابعه لو فعلوا لكأن ما أقوم به بلا حدوى. لكن لا يوجد حل آخر

عادت للشقة مستريح النفس نوعًا اللتحرار يبقى أسئلة كثيرة ويلوث سمعة الشخص ومن حوله، وهو لم يرد ذلك بينما القتل يجعلك ضحية يتعاطف معها الجميع.

ما فعلته سوف يحير الشرطة بعض الوقت، رجالها يبحثون عن القاتل الذي تسلل إلى شقة الأديب الوحيد ليقتله ويفر، لكن هل كان بوسعي أن أرفض آخر طلب من (فوزي)؟

ابتعدت بضعة كيلومترات بسيارتي، ثم غادرتها وتخلصت من المسدس في مقلب قمامة..

هكذا صرت في داري عندما جاءت مكالة (عالة) المالكية أعرف جيدًا أن (فوزي) راح عني. أنا قمت بتبرئته من جريمة قتل قتل النفس. لا أعتقد أنه من المفيد أن يعرف الناس أنه انتحر "شكرًا".. العبارة تتردد في ذهني طيلة الوقت.. من الذي يشكرني سواء؟

عندما دق جرس الباب بعد يومين فتحتة لأجد النقيب (فلان) والرائد (فلان) يقفان وأجسي الوجه يريدك بعض الوقت عندنا يا دكتور (محموظ).

ماذا هناك؟.. هل من شيء جديد؟
هناك في مديرية الأمن يخرج لي أحد رجال الشرطة مسدسًا في كيس بلاستيكي ويقول لي:
"هل تعرف هنا؟"
ويقول آخر.

"أحد جيران (فوزي) رآك تدخل البناية في وقت يتناسب تمامًا مع

وقت الجريمة . كان هو في يثر المسلم في الظلام فلم تراه . المدام تقول
إنك خرجت في ذلك الوقت تقريباً ولا تعرف إلى أين . بعد هذا رأى أحد
المخبرين أثناء عودته لداره سيارة فيات بيضاء تتوقف قرب مقلب قمامة
وسائقها يتخلص من شيء ما . الحقيقة أن سيارتك فيات بيضاء . لقد
تأكدنا من هذا . ذلك من أن وصفه لراكب السيارة يطابق عليك بدقة..
الشيء الذي نتخلص منه راكب السيارة هو هذا المسدس "

ويقول ثالث:

"أنت الوحيد الذي يملك مفتاح شقة (موري) وكان بوسعك الدخول
والخروج متى شئت . سوف نفحص البصمات على هذا المسدس وإن كنت
أعتقد أنها بصماتك. "

ويقول رابع:

"فقط نريد أن نعرف لماذا فعلت ذلك يا دكتور؟ كان العقيد يحبك
ويعتبرك أباه؟"
أعرف جيداً..

أعرف أن الموقف عسير . سوف أحتاج إلى وقت طويل لأقنع هؤلاء
السادة أنني قمت بتحويل الانتحار إلى جريمة قتل من أجل ذكرى تلميذي
سوف أحتاج إلى وقت طويل حتى أقنعهم بموضوع التخاطر والعبارات
التي تتروى في المهن.

أعرف جيداً أنني في أمس الحاجة إلى اختبار المولاج الآن . هو الاختبار
الوحيد الذي يمكنه أن يثبت أن (فوري) هو الذي أطلق النار لا أنا وحياة
والدك . هل تعرف إن كنت هذا الاختبار يجري في مصر أم لا؟

لیست علی ما یرام

لا تلوميني من فضلك..

أنا لست ساحراً ولا عرافاً ولم يتهمني أحد بالعقريّة من قبل أنا رجل مسرّ رأى الكثير من الأمور الغريبة، لكنه لم يتعلم قط كيف يتنبأ بما هو آت.

هل هذه أقراص مهدّئة؟.. إنس أعطيني قرصاً.. لا.. فليكن قرصين..
إن يدي ترتجف.. أعرف هذا لكني لست من الطرار الهستيري الذي تتبدل حياته بالكامل من أجل حادث مروع كهذا.. أنا أعرف نفسي..
سوف أستعيد السيطرة بعد أيام.. لأن أعاقِر الخمر وأتعاطى المخدرات
لو كنت تحشع هذا، فأنا لم أجرب هذه الأشياء طيلة حياتي ومن أجربها
وأنا أعبت بمفتاح باب مقبرتي

ربما أنا لست أحق لهذا الحد.. على الأقل أنا اقترحت عليه العكس.
كنت أتكلم بالطبع من الناحية الاجتماعية من ناحية العرف.. لكن لا
تكرهني أنني نصصت..

هل نام الأولاد؟ جميل.. جميل.. أعرف أنني أصيف لأعدائك صناً
جديداً بالعناية برجل مسرّ يرتجف دعراً.. نحن لا نطبق الشيوخ
المذعورين.. ونفترض أنهم بلغوا من الحكمة مبلغاً يمنعهم من الرعب،
نتوقع أن يعطونا الاطمئنان ولا يأخذوه.. ليكن هذا أنا لست مدعوراً
لنقل إنني مذهار مصيئاً لا أكثر.

أنت روجني وسري ورفيقة درمي ما قبلي مني هذا الضعف
القصة كلها بدأت كما تعرفين به (هشام الديب) صديقي القديم
هو محام مشغول دوماً ومن الطراز الذي اعتاده على أن العمل يرجعه
من مشاكل البيت.. هذا نوع من الهروب معروف.. طيلة اليوم هو في
مكتبه بينما الهاتفان يتوليان أمرهما ووجته المارمة النشطة الدكية التي
تعرف كل شيء.. لا أعتقد أنه يعرف في أية سنة دراسية هما، ولا
يعرف الطفوس العاصمة التي يبتاع بها المرء كيلو من الطماطم.

توفيت الزوجة أخيراً لتضعه أمام مسئولياته .. هنا مازق عسير
الفتاتان في سن المراهقة ولا يمكن أن يتركهما للعناية بنفسيهما البيت
كبير فعلاً عبارة عن فيلا ذات طابقين يحسده عليها كثيرون، لكنه اليوم
لا يشعر بأي فخر بها يشعر أنها ورطة ذات طابقين..

هذا جاء أولاد الحلال باقتراح (عواطف) سيدة بيت محترمة في
الخامسة والأربعين من عمرها لم تتزوج قط، ولسوف يكون دورها
مبايناً الفتاتان تحتاجان إلى أم فقط، أما هو فآلة ضح أموال يمكن
الاستغناء عنه بسهولة لو كانت آلات طبع العملة متاحة للبيع .

كان رأيي الحاصر أن لا زوجة الأب هي زوجة الأب يا أخي لماذا لا
تتدخل ؟ يمكن أن تأتي لهما بمربية أو مديرة بيت.

لكن الرجل لم يجد حلاً آخر وسرعان ما تروج
هل الغرفة معلقة ؟ إذن لماذا أشعر بتيار هواء ؟ ربما كان السبب
هو توتر أعصابي.. لا عليك..

كانت (عواطف) طيبة فعلاً ليست جميلة على الإطلاق وليس فيها
أي شيء يحرك مشاعر رجل، لكنها بالفعل من أسرة محترمة، وحطر
لي أنها يمكن بالفعل أن تلعب دور الأم لا زوجة الأم

كانت نشطة . صحيح أنها تفتقر إلى حزم الأم الأصلية لكن لا
باس . وقد قدرت أن حياة صديقي (هشام) استقرت نوعاً . يمكنه
العودة للهروب من مشاكل الميت متظاهراً بأنه مهتم إلى هذا الحد

نعم بالفعل أشعر بتحسن . من القرص المهدئ بدأ يؤدي عمله ؟
ربما أنا أقرب للتعاس..

ماذا كنت أقول ؟

آه بدأت المشكلة مع الرينو جلوسيا نحن نعرف هذه الظاهرة لكننا
لا نعرف أنها رينو جلوسيا



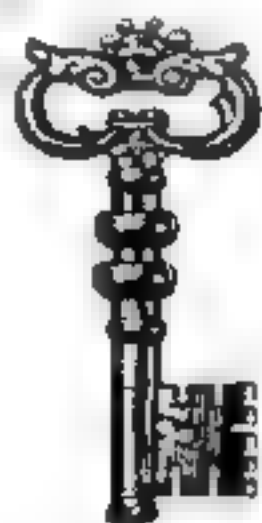
في البدء كانت الفتاة الكبرى (مروة) تنف مع زوجة أبيها في المطبخ (مروة) في السنة الثالثة الإعدادية وجميلة كالحوريئات في الصور كانت السيدة تعلمها كيف تطهو حساء الحصر . كانت تشرح لها

“عندما يتفصل السم عن الصلصة فهذا معناه (انتسيبك). عندها فقط يمكنك أن تصيغي الح . رادتك كولير ها راسكوبا شعا “
على الأقل هذا ما نقلته (مروة) لابنها . تقول إن روجته ظلت لحمس دقائق تقول كلمات لا معنى لها على الإطلاق والغريب أنها كانت تومن بيدها وتكلم الفتاة وتشير للطعام كأن الفتاة يجب أن تفهم هذا وعندما انتهت عادت تتكلم بالعربية
“لم كنت تتكلمين هكذا يا طاط (عواطف)؟“

قالت السيدة.

“أولاً طابت منك ألا تناديني إلا بلقب (ماما) ثانياً من قال إنني قلت أي شيء غريب؟ كنت أشرح لك أنت سمينيف الحضر الآن “
مر الحادث بلا تعليق لكنه تكرر بعد يومين عندما كانت المرأة جالسة مع زوجها تحكي له عن مشاكل مع خالتها هذا بدأت تتكلم لعشر دقائق بتلك اللغة الغريبة الروح ظل يرمقها في دهشة ثم راح يهرها كي تتوقف لكنها ظلت تتكلم كأنها تشرح له أشياء

أنت تعرفين ما حدث بعدها . الدائرة التقليدية من الأصباء النفسيين والمشعورين والمعانين الروحانيين لا تفسير لهذا سوى المس الشيطاني لا بد أن جدياً أجنبي مسها وجعلها تتكلم بلقنه لا بد أن الرجل قصي أسود ساعات حياته وهو يعاجها. ولا بد أنه سأل نفسه مراراً عما جعله يأتي بهذه المصيبة بيته وهو الذي لم يكن يطبق اصطحاب روجته الأولى لطبيب الأسنان.



لكن المرأة لم تشف..

أريانت الحالة تعقيداً، والغريب أن نوبات الكلام بتلك اللغة الغريبة كانت تقتصر بشيء من العنف والشراسة بدا واضحاً في أكثر من مرة، حتى أنها لطمت ابنته على حدها مرة. كانت تنمر وتبدو كأنها ملكة تصدر أوامرها للعبيد..

أنت سمعت هذا وضحكت وقلت لي:

“لا بد أن عفريت كليبواترا قد تقمصها!”

على أن صديقي الطبيب النفسي د. (مصطفى) لم يضحك. قال إنها حالة هستيريا واضحة وهي ذات الحالات التي يهتمون من الجان بها. على أنه زارها عدة مرات وأصفى لكلامها فكان رايه أنها تتكلم لغة واضحة متعاسكة التركيب والكلمات. لكن كيف؟؟ المرأة لم تترك بيت أهلها قط. لم تسافر ولم تتعلم جيباً، وهي لا تعرف من الإنجليزية سوى عشر كلمات..

قال د. مصطفى:

“الامر غريب. هناك حالات موثقة في التاريخ وتشبه هذه الحالة لم يتم توثيقها علمياً إلا بمعركة البرومسور (أيان ستيفسون) العالم النفسي لكن تم هذا بمعرفة مؤرخين الحالة اسمها (ريوجلوسيا) وفيها يتكلم الشخص بلغة أجنبية لم يتعلم حرفاً منها من قبل. فجأة تقاها بابك يتكلم الألمانية أو البرتغالية بطلاقة. هناك أمثلة ديبية لها والغربيون يطلقون عليها اسم (الكلام بالأسنة)”

قلت في بعثه.

“لكن هذا بالصمت ما يقوله المشعرون عن مس الجان..”

“وما يقوله الهندوس عن التماسخ. يقولون إن هذا دليل على أنك

كنت برتعالياً مثلاً في حياة أخرى وما زالت تذكر اللغة”

.. لكن التناسخ كلام فارغ..“

.. طبعاً.. لكن ما أقل ما يعرفه عن العقل البشري. رأيي أن زوجة صديقك هذه تمر بحالة زينو جلوسيا واضحة ، والمطلوب أن تحضر لي أي شريط يحوي تسجيلاً من كلامها.“

وعده يأن أحضر له هذا الشريط، وكان الأمر سهلاً لأن الفتاتين ستي (هشام) قامت بتسجيل إحدى هذه النوبات على شريط فيديو. عدت بهذا الشريط لد (مصطفى) فقام بتحويل الفيلم إلى صيغة مناسبة للكمبيوتر. لا أهم هذه الأمور لكنه يتعامل مع الكمبيوتر ببراعة تامة لقد وضع هذا الفيلم على شبكة الإنترنت ثم أرسل سيلاً من العطاءات لعشرات الدول يطلب فيها من يعرف هذه اللغة في الماضي كنت تحتاجين لأن قروري هيئة الأمم المتحدة أو برج ناهل لتعرفي الإجابة هل هناك من يتحرك؟ لا إنه الباب ينطلق لا مشكلة

في هذا الوقت قرر (هشام) السفر للإسكندرية وحده لمدة أسبوع فطلب مني أن أضي بالبيتين. قال لي بصراحة إنه يفكر في الطلاق جدياً لأن زوجته قزداً سوءاً.. عصبية لا تكف عن وضع المساحيق والكريم على وجهها لأن هاجس التقدم في السن يطاردها أحياناً تضرب السمات لقد شاء الحظ أن يختار لبيتيه زوجة أب مجنونة وعليه أن يصصح الخطأ..

قال إن علي أن اتصل بالبيتين وأمر علي البيت يومياً وسوف ينهي كل شيء لدى العودة..

هكذا رحت أتردد على الفيلا فادق الجرس. تفتح لي ابنة الخادمة الشابّة وتنادي البيتين لأطمئن عليهما من على الباب ثم أنصرف أحياناً أبتاع لهما بعض الحلوى أو المجلات مسكيتان ليس أسوأ من زوجة الأب القاسية سوى زوجة الأب المجنونة .

كنت في داري في ذلك الصباح عندما اتصل بي د. مصطفى قال
إنه يرغب في أن يأتي لي بعض الوقت.

عندما جاء كان يفكر بعمق. جلس وأخرج فكرة من جيبه وقال
وهو يقلب صفحاتها.

“جاءني الرد من صديق أوروبي هذه اللغة رومانية لا شك في
هذا لغة رومانية من وسط البلاد (منطقة الكاربات) لا غبار عليها
طبعا هذا يؤكد كلامي عن الزيوجلوسيا
“جميله وماذا تقول؟“

“تتكلم عن أنها من أسرة عريقة وأنها ولدت عام 1560 جدها
كان يحارب الأتراك“

“يبدو إننا دخلنا في حانة تقمص الأرواح فعلاً“

“لا أعرف لماذا تختار الأرواح الرومانية زوجة مصرية هدفاً لكن
السؤال كان يتكرر في كل حالة زيوجلوسيا تذكر المرأة كذلك اسمي
(نادسادى) و(دوركا) بلا سبب..“
“ومعنى هذا؟“

“الروماني الذي رد علي لا يذكر أما أنا فأجريت بحثاً مدققاً
عبر شبكة الإنترنت عن هذين الاسمين.. وجدتهما قاضعت لبحث
الفاط (كاربات) و(1560) و(حرب الأتراك) فوجدت اسم (باتوري)
يتكرر بكثرة..“
“ومن هو؟“

راح يتصفح الأوراق ثم قال:

“هي لا هو. الكونتيسة الرومانية (اليراث باتوري).. فتاة من أسرة
عريقة حارب جدها الأتراك مع (فلاد الوالاشي) ولدت عام 1560 وتزوجت
من الكونت (نادسادى) وأقامت في قلعة بالكاربات روحها كان يسافر كثيراً



جداً لفا قررت هي أن تتسلى بتعلم السحر من حادمة عجوز اسمها (دوركا).
 كانت سادية مريضة نفسياً تهوى تعذيب الحاديات وجلدهن، وزايت
 قسوتها بعد وفاة زوجها. وكانت فكرة الشبحوخة تؤرقها لأن جمالها كان
 صارخاً. ثم وجدت الحل عندما صنعت خادمة شابة لديها قسالة الدم ليغرق
 يدها هي. بدالها أن شرقتها استعادت شبابها بفعل دم الحادمة. وهكذا قامت
 مع الحادمة العجوز بتعليق الحادمة الشابة وقمع وريد عنقها، ثم استصفت
 دمها واستحمت فيه. بعد ذلك الحي صارت تعلق الحاديات من أقدامهن
 وتستصفي دمهن لتكرر الشيء ذاته، وكان مراسيها يحطرون الريفيات من
 القرى المجاورة، ثم بدأت تفعل الشيء ذاته مع السيالات. سرعان ما بلغت
 سمعتها مسمع ملك رومانيا الذي أرسل جيشاً لاقتحام القلعة وتفتيشها.
 حسن. كان ما راوه هو مشهد من عيلم رعب شنيع. لقد ثبت أنها قتلت نحو
 560 فتاة. حوكت لكنها لم نعدم لبل أسرتها وسجبت لعدة أعوام ثم ماتت
 في الخامسة والأربعين تقريباً ميتة طبيعية. إنها مصدر معظم قصص
 مصاصي الدماء التي نعرفها، ربما أكثر من (فلاد الوالاشي) نفسه الذي
 اشتهر باسم (دراكيولا)..^١

قلت له مشمئزاً

”قصة فظيعة لكن ماذا نحاول قوله؟“

قال وهو يبهض:

”لا شيء. فقط أعرض بعض الحقائق. زوجة صديقك نجيد

الرومانية فجأة وتتكلم كملكة وتقلق على بشرتها وتردد كلمات عربية
 فقط كن حذراً..“

بالعمل قررت أن أكون حذراً.

عندما ذهبت إلى فيلا هشام في موعدي اليومي كنت حذراً. عندما

لم تفتح لي الحادمة الباب كنت حذراً. عندما اتصلت بالهاتف عدة
 مرات كنت حذراً..

حتى عندما عدت مع رجال الشرطة كنت حذرًا لكننا أدركنا أن
العيلة حالية أخيرًا نزلنا إلى القبو (عواطف) كانت جالسة على
الأرض ناهلة لا تعرف كيف حدث هذا ولا من فعله وكانت تتكلم
بالرومانية بلا توقف.. رأينا الخطاطيف المعلقة في السقف ورأينا
ذلك البانيو القديم الذي تم وضعه هناك ليتم ملؤه. وعندما رأينا ما
يتدلى من الخطاطيف عرفت لماذا لم أر الحادعة ولا العتاتين في ذلك
اليوم، وعرفت أن د. مصطفى عبقرى..

ناوليني قرصًا مهدئًا آخر أعرف أن ثلاثة أقراص جرعة عالية لن
كان في سني، لكن من يبالي بجرعات الأدوية اليوم؟

اسمي ليس (محمود)

هناك ذكريات معينة تعتاز بشيء مهم هو أنك لم تعيشها قط!
من ينكر هذا؟

لكم من لحن سمعته وشعرت بأنك سمعته من قبل في مكان ما في
زمن ما هاتان العميقتان اللتان تحترقان أعماقك ألم تعيشهما
في زمن ما في مكان ما؟ ألم تمنحاك شيئاً رائعاً أجمل ما فيه أنك لا
تذكر حرفاً عنه؟ . وتلك الرائحة؟ شعمتها في بستان ما في زمن ما
وأنت تمشي مع شخص ما. والأجمل هو أنك لا تعرف أي شيء عن هذا
الشخص ولا الزمن..

ثمة كيمياء غامضة تلهو بنا طيلة الوقت.

البعض قال إن هذا دليل على أننا وجدنا في شخصيات أخرى في
زمن آخر ربما كنت أنت بالأمس راهباً يحرق البخور في معبد من معابد
(الماهايانا) على قمم التبت، أو كنت هدياً أحمر يرقص حول النار في
صحراء كولورادو هذا هو صلب عقيدة تناسخ الأرواح التي تصطدم
مع الدين في أكثر من نقطة..

علماء النفس يعطون تفسيراً أكثر تعقيداً إنه الوجدان الجمعي إنها
خبرات تراكمت عبر الأجيال وتنتقل من السلف إلى الحلف. لكن هل
تتضمن هذه الذكريات الروائح؟

علماء النفسولوجيا يتحدثون عن ظاهرة Déjà vu التي تقع نصف
عقلك بأن ما يراه النصف الآخر هو ذكريات عشتها في زمن ما هكذا هم
يدعون الخيال في مثر عميقة، ويرجعون هذه الحيرة الكونية المحيية إلى
حل في تدفق الدم..

تري أية إجابة هي الصحيحة؟ ترى من يعلم؟ ويوم تعلم هل ستعلم
أننا علمنا؟



في العاشرة من مساء الجمعة تشاجرت مع أم العيال .

أنت تعرفني جيدًا فلا يجب أن تشير هذه الأمور قلقك.. قالوا إن هذه الأمور هي الملح الذي يعطي للرواج نكهة وأنا أؤمن بهذا فقط لا أعرف سبب كون رواحي مالحا لهذه الدرجة التي تجعل رأسي على وشك الانفجار من فرط ارتفاع ضغط الدم..

دخلت غرفة مكتبي وأعلقتها على نفسي أشعلت نغمة تبغ وبدأت أصنع المشاريع المتحمسة التي أعرف - قبل أي واحد آخر - أنها حيالية طفولية.. في العاشرة والرابع قررت أن أقتل زوجتي. سأحضر السكين من المطبخ وأطعمها عدة طعمات، وكل للقتلة أصعبها في طشت تحت الفراش - لا أعرف لماذا يفعلون ذلك لكنه شيء إجباري - وأجلس على المقهى بانتظار قدوم الرائد (علان) والعقيد (علان) - وسوف أظهر على صفحة الحوادث في الأهرام رائع العيين أقول للصحفي أصل الشيطان ورنني يابيه.

في العاشرة والنصف فكرت في الطلاق وبدأت أحسب النفقة ومؤخر الصداق، والعقد النفسية التي ستصيب العيال فتحت المفكرة لأحسب فوجدتها مليئة بالحسابات السابقة من ألف مشاجرة

في الحادية عشرة إلا الثلث استقر رأسي على أن أعاد البيت على سبيل الاحتجاج بصنع ساعات ثم أعود هذا هو القرار الأصوب

هكذا عادت البيت من دون سلام ولا كلام وتعمدت أن أغلق الباب بعنف، لكنني سمعت صوت (سعاد حسني) لرحيم قادما من التلفزيون يغني كلمات (صلاح جاهين) اللادعة ما يارمانه راحي.. يعني خيروح عين؟ مصادفة غريبة فعلاً!

الليلة سوف أثور سوف أرتاد المواخير وأرقق أبناء الليل وأعاقر الحمر سوف تعرفني شوارع المدينة المدهكة، وسوف يحفر اسمي في ذاكرة كل امرأة قابلتها في تلك الليلة سوف ينصع الأبناء أطفالهم إلا يكبروا ليصيروا مثلي الكلاب المسعورة التي تدمج في الأرقعة سوف تتوارى رعباً عندما ترى ظلي.. سوف



وبالطبع لم أفعل شيئاً من هذا، لاني لا أعرف مكان مآخوذ واحد، ولم
أرى قطرة خمر في حياتي..

هكذا حملتني قدمائي إلى المكان الوحيد الذي يصلح كمعامرة بي: محطة
السكة الحديد. سوف أقضي الليل على مقعد هنا وألصق نفسي على أنسي
لم أدبغ القطن لزوجتي ليلة الرفاه

جلست على المحطة وسط أشباح القطارات التي نامت أخيراً بعد غناء
يوم طويل من الركض بين القاهرة والإسكندرية والمنصورة و... كان
الطقس بارداً بحق وبدأت لي فكرة قضاء الليل هنا عسيرة فعلاً. لكنني
كنت أواجه آخر تحد مع نفسي الباعسة الحاملة أقصى انتقام استطعت
تفديده هو أن أجلس على محطة القطار بضع ساعات، فإن لم أفعل هذا
فأي نفع لي؟

في الواحدة صباحاً رأيتها..

كانت تمشي في تودة على رصيف القطار. ترتدي معطفاً جلدياً طويلاً
سائفاً وتضع يديها في جيبها، كأنها تقلد مصاصي الدماء (البانك) في
أفلام الرعب الحديثة. تمشي بطريقة لا صوت سوى صوت كعبي
خدائها. الحق إن شيئاً في مظهرها ومشيتها كان جلياً مشكلاً لا يصدق
لكنه في الآن ذاته رهيب يبعث نوعاً من استوجس، فتاة وحيدة على محطة
القطار بعد منتصف الليل لا تبعث الراحة في النفس. لو لم تخرج لفافة
تبيع وتعرض على ليلة مقابل ما تنتي جيبه (يا اللعدي)، فلماذا ستكشر عن
أضراسها ويبرر لها جناحاً وطواط، واكتشف أن عينيها مشقوقتان بالطول
أو أن لها حافر ماعز

فجأة دنت مني فتوترت. كنت على وشك الصراح

رأيتها تحمق في وجهي بعض الوقت. توترت كثيراً. لكنها قالت في
حماس:

“(محمود) !”

مظرت لها في عيني فهم، فقالت:



"الا تذكرني؟.. مستحيل أن يكون الزمن قد غيّرَكَ إلى هذا الحد
أما (داليا)"

هزّت رأسي في غياء، فقالت.

"تذكر الميل -مد عشر سنوات (وليد الخصري) إنه أخي"
ثم جلست في بساطة جوارِي أنيقة جدًا فاخرة جدًا لا يمكن أن
تكون لـمَن أو ما هو أسوأ لكن يجب ألا ننسى الحقيقة أما لم أرها من
قبل قط

"معدرة. أنا لا أذكر فعلاً. ثم إن اسمي ليس "

"فكر فكر قليلًا.."

ثم تذكرت السؤال المهم الذي يفسر كل شيء

"ماذا تفعلين هنا؟ لا توجد قطارات. أنا موجود هنا لأنني مجنون
فماذا عنك؟"

قالت باسمه

"الامر شبيه بهذا لا توجد قطارات، لكنني كذلك لا أنوي أن أجارف
بركوب (ميكروباص) أو سيارة (بيجو) في هذه الساعة اعتقد انني
سأبقى هنا في المحطة حتى موعد أول قطار"
لم تطلب بقوة، للعودة لبلدتها على الأقل هذه نقطة مهمة ثم اردعت
وهي ترى غبائي

"قلت لي يومها إنك تجرب للمرة الأولى أن تتجرا. قلت إنه لا
وقت للألعاب السخيفة والتظاهر بعدم الاهتمام لأن هذه آخر فرصة لك
للسعادة عرضت علي أن أحرج معك في برهة نيلية هل نسيت
هذا كله؟"

هزّت رأسي. مستحيل أن تخرج هذه الكلمات من شخص متحفظ
مثلي الأمر مؤكد إما إنها محبولة أو هي قاعدة (يخلق من الشبه
أربعين).. ثم إن اسمي ليس (محمود).

قالت كالحالة.

"هناك والليل يهر القارب لست يدي وبحث لي بسرك. سرك الذي
سأظل أذكره للأبد.. هل ما رلت لا تذكر؟. الهرم وبرلة السماء. حديقة
الأورمان عندما كانت أنمية. ثم الإسكندرية و"
كنت أشعر بحيرة لا مثيل لها. وهزرت رأسي من جديد وهمسست في
ضعف.

"إن اسمي ليس (معد).."

قالت وعيناها تلتمعان في حماس:

"ص لا تقسد اللحظة. هل تفهم معنى هذا؟ مكان ماء كهذا وفي
ساعات الفجر الأولى يلتقي حبيبان بعد كل هذه الأعوام.. هل يمكنك
تفسير هذا بقوانين الصبغة؟ لقد أراد الله أن تعود قصتنا. أراد الله أن
يجمعنا بعد كل هذه السنين.. وقد يجمع الله الشئتين بعينا. يظنان كل
الظن ألا تلاحظا.."

ثم صمتت وراح صدرها يعلو ويهبط..

كنت أنقب في سجلات ذكرياتي ومخارمها

بالفعل أذكر أنه في زمن ما في مكان ما كانت لي قصة مع فتاة كهذه.
بل هي نفسها. هاتان العيبان الثاقبتان الصريحتان اندفتان. تلك
الأمامل الطويلة التي تنشي بحساسة غير مسبوقة.
لم يكن اسمها (داليا) بل (ليلي). اعتقد هذا. لعل الذاكرة خائفتني
فعلاً...

فقط لو يدوب كل هذا الثلج من على تضاريس ذاكرتي. لو يسقط هذا
العمدا..

يا لها من ليلة تلك التي تبدأ بالشجار مع زوجتي. وتنتهي في محطة
القطار مع فتاة تذكرك بشخص ما !!

(ليلي) هناك ذكرى عن محطة مترو الأنفاق. يبدو أن المترو تعطل

بين محطتين. كانت هناك وسط الزحام تنظر لي بلا انقطاع. لماذا أنت بالبات؟ منذ عشر سنوات لم أكن شاباً أو جميلاً بعد سن الثلاثين لا يعود هناك فارق واضح بين الأربعين والخمسين والستين. رجل في منتصف العمر أو آخره.. لا يهم.

تنظر لي بلا انقطاع.. ترفع رأسها كأنها تحتق مجعة تصرخ رأسها من بركة العرق التي تسبح فيها لا أعرف كيف دبوت معها كيف ظلت أنظر بعينيها عشر دقائق كاملة. ثم همست لها إنني أشعر بأنني أعرفها منذ زمن.. فقط لو تممحتني لحظات أتكلم فيها بلا مقاطعة كيف وانتهى هذه لجرأة؟ لا أعرف.

نعم. أنا أتذكر (ليلي) جولاننا في شوارع العاصمة الخالية. شوارع حلوان قبل الغروب لماذا حلوان؟ لأنه لا يوجد بعدها شيء. لراكب المترو إنها ما بعد العدد لو ابتعدنا قليلاً لسقطنا من على حافة العالم كما خشى بحارة كولومبوس يوماً ما

نعم ليلي اسمها (ليلي) وليس (داليا). اعتقد هذا لا بأس بالخطأ الذي تعدته الأيام. هي كذلك دعمني يا (محمود) أنا (محمود) ولست (محمود)..
هكذا رعمت رأسي للفتاة الجالسة جوارى.

كانت شاردة الدهن تصع يدها على جبهتها كأنما هي مصابة بالصداغ.
قلت لها

"الآن أتذكر كل شيء أتذكر مترو الامفاق عندما تعطل. أتذكر صواحي حلوان وجولاننا هناك لجرد أنها مكان ماء بعيد عن عالمنا أتذكر السيمبا وجملات الثالثة مساء لامت يجب أن تكوني في بيتك في الساعة أتذكر وإنني لأعتذر بشدة.."

كانت صامئة تتحسس جبهتها بلا انقطاع فهتفت في قلق:

“(ليلي). هل هناك شيء؟”

قالت وهي تنظر لي نظرة غريبة جداً

“اسمي (داليا) وانت قلت إن اسمك

“(محمود). أنت تصرين على أنه (محمود) لا مشكلة مهما تغير

الاسم فأنا الشخص ذاته..”

فجأة نهضت وجذبت حقيبتي وقالت

“ثمة خطأ خطأ مريع..”

“ما هو؟”

قالت وهي تتراجع بظهرها:

“الآن أتذكر بوضوح لا لست أنت. أنا أسفة أنا أتحدث عن

(محمود) فعلاً اسمه كذلك من المستحيل أن أساء. يبدو مثلك لكنه

مختلف.. أنت تفهم..”

وتراجعت أكثر ثم هتفت

“أرجو أن تسامحتني. فلما جمعا..”

وسرعان ما كانت تركض على رصيف المحطة لتغيب عن بقعة النور

الواضحة التي يبعثها عمود تور

وجلست أنا أنظر على القطارات الغافية في حيرة

لم أكن أنا لكنني متأكد من أنها هي..

كيف يكون ذلك؟

وشعرت برجفة. إنني نمر لم تلتق قط من يدري؟ لربما التقى

اثنان آخران هما (محمود) و(ليلي) لو كنت أنا قد قابلت (ليلي) وهي

قابلت (محمود) فكيف عرفتني وكيف عرفتني؟

هي رمن ما التقى اثنان يشبهاننا واقتربا فلماذا عرفت أنا و(داليا)

بعضنا؟

أسئلة لا تنتهي وأنا أرمق مملكة الظل الرابض كوحش خارج دائرة
الأضواء الخافتة..

ونظرت في ساعتني..

وتنهدت لم أعد قادرًا على أن اظل عاضبًا على زوجتي أكثر من هذا
لقد حان وقت العودة إلى البيت والنوم.. ربما أرى (ناليا) في
الحلم، ربما ...

أنا والكلب

عزيزتي هالة:

أعرف أنني لم أكتب لك منذ فترة طويلة، لكن الأفكار تصبّح في ذهني إلى درجة أنه لا بد من أن أجلس وأكتب هناك لحظة ما في حياة امرأة يراجع فيها كل مسلماته ويعرف أنه لا يعرف أي شيء على الإطلاق. أنت تعرفين أن بيتي قريب من الكلية، وأما في هذا من المحفوظات القليلات في العالم اللاتي لا يضطرون إلى البحث عن وسيلة مواصلات لا أعرف معنى كلمة (زحام) ولم أجربها، ويقال على سبيل السخرية إنني سأبقى في الكلية للأبد، لأن التخرج معناه فقدان هذا الحظ الحسن.

كانت محاضراتي متصلة في تلك اليوم واضطرت إلى البقاء حتى بدأت الشمس تنحدر نحو الغرب لا أحفي غلبتني من مد الطفولة أشعر بتقلص في معدتي عندما تغيب الشمس وأما ما زلت في الدراسة خاصة عندما يفتقرون النوافذ ويصطبغون النور الكهربائي في قاعات الدرس، فهذا يشعرني بأنني موشكة على الإنهاء. كائنات نأجرت جدّ ولن أعود إلى داري أبداً.

طبعاً تعلّمت على هذه أشاعر الطفولية وبدأت أمشي في الشارع عائداً إلى داري لأند لي من عبور تلك الساحة الحالية التي تبيت فيها سيارات المنطقة، وهي ساحة مأمونة باستثناء تلك الكلاب الشرسة التي يأتي بها حفيظ الجراج من وقت لآخر لكنهم علموني أن أنظر للأرض وأمشي في هدوء حتى لو شعرت بأعاس الكلب الحارقة على ساقي.

في هذه المرة كان ذلك الكلب يقف أمامي وينظر لي في ثبات لم أر من قبل هذا الكلب فهو وجه جديد فعلاً كلب رمادي يبدو أنه متقدم في السن، في عيني نظرة حكيمة غريبة عارفة بكل شيء. يقف هناك في وضع مألوف لدى الكلاب ويتأعني بعينه ثم بدأ يمشي خلفي يمشي في تودة وبلا عصبية أو حماس.

لا أعرف السبب لكن ملاحظته لي جعلتني عصبية وقد وجدت نفسي أجد السير حتى أوشك على أن أقع في المحطور وأجري. وبلغت بيتي أخيراً فقط لأجد أن الكلب يقف أمام باب البعاية وهو ينظر لي تلك النظرة الغامضة.

لم أستطع فهم الطريقة التي سبقتني بها لكنني على كل حال مررت
جواره في حذر، وسرعان ما رحت أركض على الدرج حائفة من أن يلحق
بي قبل أن يفتحوا الباب. لا لم يحدث شيء كهذا

في أيام القالية كنت أراه باستمرار تقريباً لم يمر يوم دون أن أراه
وتصدمني عيانه العريتان أغرب عيني كلب رأيتهما في حياتي فيهما
شيء بشري لا شك فيه

اليوم فقط أفكر في موضوع تناسخ الأرواح الذي قرأت عنه كثيراً
أعرف أنه مرموز وغير وارد لكنه يلاحقني فعلاً حسب مفهوم تناسخ
الأرواح فإن أرواحنا تخرج من أجسادنا لتولد في جسد آخر قد يكون
بشرياً وقد لا يكون. دورات حياة لا تنتهي

للمرة الأولى أفكر في أن هذه القصة قد لا تكون خيالية تماماً هذا
الكلب يحمل شيئاً بشرياً فلماذا لا يكون كذلك؟

لماذا لا يكون هذا الكلب ذو العيون الماطفتين تناسخ روح إنسان مشى
على هذه الأرض يوماً؟. هذا هو التفسير الوحيد بالنسبة لي لنظراته
المعبرة الغريبة

نعم يا صديقتي الحبيبة الأمر بهذا السوء والذن. صديقتك تمضي
الوقت في بيتها تفكر في كلبا إن عرائب الحياة لا تنتهي عند حد

عادة

عزيزتي هالة

تتذكرين الكلب الذي حكيت لك عنه في خطامي السابق. نعم لا
تدهشي فالموضوع يهمني فعلاً كنت أعبر تلك الساحة ووجدته كما
يحدث في كل يوم، لكنه كان يعرج قليلاً دققت النظر فاكشفت أنه يمشي
من قدمه.. المسكين قد دس شيء على قدمه الخلفية، ولعلها سيارة يركبها
عبي ما حاول أن يركبها في الحراج. غير مال بوجود كلب دائم خلف
الإطار اعطرت قلبي للمعطر ومشيت لبيتي فوجدته يتمني كالعادة وهو



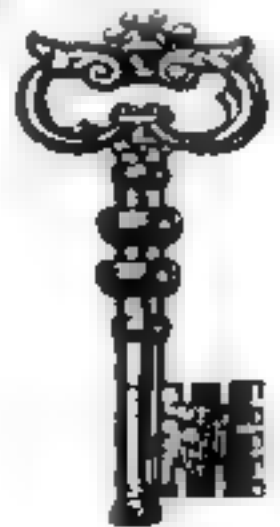
يعرج. هذه المرة سعدت معي إلى الشقة، ولما لم يكن هناك أحد في البيت فقد أدخلته. كانت هناك دجاجة في الثلاثة ماقتطعت رديها ووضعته على حريصة أمامه رحت أراقبه للمرة الأولى في حياتي عن كثب وهو يأكل في نهم من الواضح أن حياة كلاب الجراج ليست سعيدة جداً ما أعرب منظره، وما أعجب تعبيرات وجهه ونظراته لي! على كل حال أحضرت بعض المظفرات والبلاستر والشاش وقمت بتضميد قدمه كما اتفق، ثم أخرجته على باب الشقة وطلبت منه أن يصرف لكنه ظل واقفاً هكذا عدت إلى الجراج معه وهو يركض خلفي هناك لوحات له مودعة وطلبت منه أن يعمى بنفسه ولا يجلس في الشمس كثيراً هذه المرة يبدو أنه فهم لأنه أقبل على الأرض وراح ينظر لي في ثبات هذه النظرة تثير جنوني! أحياناً اعتقد أنني في قصة حب مع كلب!؟

لو كانت نظريات التناسخ هذه صحيحة فعلي أن أقبل أنه كان رجلاً في السابق هذا حير من أن أقبل أنني كنت كلباً! سامعيني على هذا الهديان لا بد من شخص يمكن للمرء أن يهدي معه وهو آمن، بينما يهدي المرء مع خطيبه فيفسخ الخطبة يهدي مع أبويه فيأخذانه للطبيب النفسي يهدي مع أستاذه فيفصله من المدرسة لهذا تحمليني قليلاً

غادة

عزيزي هوري:

سامعني على ما سأقوله في هذا الخطاب لا بد للمرء من أن يجد حرية الهديان من وقت لآخر وإلا انهيار عندما كنت في لندن عرفت حديقة هايد بارك التي يقف فيها الخطباء هناك من يرى أنه أجدر بعرش بريطانيا ومن يرى ضرورة حق الأطفال الرضع كل هؤلاء يهدون في حراسة رجال الشرطة، وهو تصرف حكيم من حكومة تعرف أنه ما لم يسمع للمرء بالهديان العظمي فإنه ينفجر.



اكتب لك لأشكو تلك الكوايس الغريبة التي تجتاح عالمي من وقت
لآخر في الآونة الأخيرة أولاً أنا أحب لا تخف هذا الحب لن يتبعه أي
شيء من طلاق وزواج وكل هذا السخف، لأن الفتاة التي أحبها في عمر
بدايتي لکني متعلق بها بشدة فعلاً ثمة شيء في عينيها يذكرني بشيء
آخر حميم عزيز هذه الفتاة طالمة في كلية ما وهي تمر أمامي كثيراً جداً
وتنظرني نظرة تقول بوضوح أنا أعرفك كما تعرفني لكن متى؟

كل هذا جميل ومفهوم، لكن تلك الأحلام لا تقارقي في كل مرة أتخيل
أنني كلب تعس الحال. كلب صال يمشي بلا صاحب في ساحة حالية ثم
تمر هي أمامي فأتابعها..

أتبعها في شارعها .

أنتفخ على درجات سلم دارها.

هذا الكابوس يتكرر مراراً..

أحياناً أراه ليلاً وأحياناً في يوم القيلولة مؤحراً طمت بأن سيارة
شاب عابث دأست على قدمي فرحت أنرف، وأبيع ذلك الصباح الممزق
للأفئدة الممير للكلاب الجريحة. ثم جاءت هي كأنها الملك ونظرت لي في
شفقة ثم اصططعتني إلى دارها حيث قدمت لي دجاجاً على جريدة وربقت
على رأسي، بعدها ضمدت قدمي بيدها الرقيقة وأنا أنظر لوجهها غير قادر
على إبعاد عيني كانت تقول لي كلاماً رقيقاً مثل (يا لك من مائس! ماذا
لا تهتم بنفسك أكثر؟ اصعد يا صغيري) . ثم إسها اصططعتني إلى تلك
الساحة وهي تطلب مني أن أعنى بنفسني وألا أجلس طويلاً في الشمس
الخ.. ثم صهوت من نومي.

لن أحكي لك عن الباقي ولا عن الجرح الذي وجبته في ساقي عندما
كنت أتوضأ للصلاة من أين جاء؟ من ضمده لي؟ رأيت هذا الجرح
من قبل في الساق الخلفية للكلب وقد ضمدته يد رقيقة طويلة الأامل.

أنا موشك على الجنون. أين عرفت هذه الفتاة ومتى؟ ماذا أرى هذه
الكوايس الغريبة؟ لو كانت نظريات التباسح حقيقية فأنا قد عرفتها

في مكان ما في موضع ما من قبل. لكن أين؟ هل على سفاف النيل
بينما جند تحتس الثالث ينقلون أسراهم؟ أم في قرية صيدية ما في
عهد المسيح؟ أم كانت من قبيلة الشيوخ وعرفت بها عندما ذهبت لأبتاع بعض
الفراء منهم؟ أم كانت ترقص البولكا في رفاق صديقي في تلك القرية
الأوكرانية ودعوتها إلى شرب الفودكا معي؟

لا أعرف. لكن الإجابة عن تلك الأسئلة موجودة في ذات الكهف الذي
تجد فيه سر الحياة وسر الخلود وسر هجرة أسماك استوثة وانتشار
الحيات في أفسطس.

محفوظ

عزيزي فوزي:

حدث شيء غريب اليوم كنت عائدًا إلى داري عندما خطر لي أن أجتاز
تلك الساحة الحالية التي يوجد فيها تلك الجراج كثيرًا ما أرى تلك الفتاة التي
أجهل اسمها هناك. كنت أمر تحت شرفة بيت، عندما رفعت رأسي فجأة لأجد
ربة بيت فظة بديعة تحمل دلوًا من الماء وتسكبها فوق رأسي. لم يكن الوقت
كافيًا إلا لأرفع يدي في شبه استغاثة ثم هوى الماء البارد القدر فوقي.

هل تعرف ما حدث؟

وجدت نفسي من جديد في كابوس الكلب. كلب منتل يركض مدعورًا
منتعذًا. يركض في الساحة وسط السيارات الواقفة. رأيت لعباة الرقيقة
تنظر لي في اهتمام على قدر علمي هذه أول مرة أدخل فيها ذلك الكابوس
من نون يوم.

وفي هذه المرة طال الحلم كثيرًا جدًا طال قصيت يوف كاملاً ككلب
ومارعت الكلاب الغريبة، وحككت الكثير من المراعيث عن جلدي، وعرفت
عظامًا ملقاة أمام متجر قصاب.

فقط عندما جاء الليل بحثت هكنا أفتت من بك الكابوس لأحد نفسي
في فراشي. من ثم قمت لأكتب لك هذا الخطاب

هل تعرف العكرة المرمعة التي تلج علي؟ أعتقد أنني لم أحلم بنفسي وأنا كلب. الكلب هو الذي يحلم بنفسه ككائن بشري! د محفوظ وحياته وأسرته وتجاريه ليسوا سوى أحلام كلب ماتم في الظل! لقد كنت أحلم عندما مشيت في تلك الساحة وجاء دلو الماء البارد ليوقظني من الحلم، فرحت أركض مدعورًا كأي كلب سكبوا عليه دلو ماء بارد وهو ماتم هي فكرة محيطة كل مفارقتي وحتى هذا الخطاب الذي أكتبه. كل هذا وهم الكلب جرح في ساقه واعتنت به فتاة رقيقة. هكذا حلم بنفسه في صورة محفوظ الذي يكتشف جرحًا في ساقه لماذا بدأت فترات الواقع الكلب تطول هذه الأيام، وبدأت أجد نفسي كلنا أكثر من السابق؟ في الماضي كانت حياتي كلها حزنًا طويلًا لا أكاد أفيق منه ربما لأن النهاية اقتربت وربما لأن تلك الفتاة ظهرت في حياة الكلب الكلب وقع في الحب وبدأ يفيق على الحقيقة..

حتى لو رددت على خطابي يا فوزي فهذا لا يدل على شيء ربما أنت مجرد حلم أحر انتكرته خلايا مخ الكلب واستجابة الحلم ليست من الواقع في شيء.

هل تعرف ما سافعله؟ سوف أذهب إلى د مصطفى مساء اليوم - الثلاثاء - وأقنعه بأن أمضي بضعة أيام في مصحته النفسية ربما كان الضغط العصبي قد أرداد علي في الفترة الأخيرة أحمد الله على أنني مثقف لدرجة تجعلني لا أخجل من قرار كهذا

محفوظ

عزيزتي هالة.

لا أعرف أين ذهب الكلب الذي تديبني تطراته والذي حكيت لك عنه اختفى تمامًا منذ يوم الثلاثاء أرحو ألا تكون سيارة قد نهمت في مكان ما أعرف أنني أقول هدياً لكنني بالفعل أعتقد أعتقد بشدة!

غادة

كنت هناك

نحيل المنياي، أسمر اللون، له شعر أشعث شاب معظمه، وأن عطى
أكثره بقلنسوة صوفية متسقة. يلبس سترة جلدية حان لونها يدس
يديه في جيبيها، وعلى وجهه نظرة حائرة غائبة عن الوعي .

قدرت أنه في الستين من العمر، وأن حاله في منتهى السوء من
المواحي الصحية والعائلية والمادية. هذه سن يجب أن يستريح فيها
المراه، لا أن يجد نفسه تائهاً تنقاده انطراقات والارقة

كانت هذه زيارتي الثالثة للولايات المتحدة. هذه المرة زوجتي معي
في تلك الكافتيريا الصغيرة النظيفة المظلة على الطريق السريع في
(بوسلفاميا) لم يكن هناك كثيرون في المكان، لذا قدرت أن هذا القادم
سوف يتبادل معي عبارة ما...

رأيت أنه بالفعل يتجه إلى المنضدة التي اجلس عليها

هتفت زوجتي في دعر.

“أبعد يا (محفوظ)!”

لكني لم أر داعياً بذلك. قد يكون مرعباً قد يكون قدراً لكنه
بالتأكيد ليس خطراً أكثر من فأر صغير يعيث جوار قدميك. يمكنك أن
تركه في أية لحظة، لكن من قال إن النساء لا يحفن الفئران؟

“(محفوظ)... أرجوك أبعده هنا!”

فتح الرجل فمه المليئ بأسنان بحرة، وكور شعفيه وأطلق الكلمة
ممدودة طويلة كأنه يشب يعوي.

“يووووووووذا!”

لم تكن روحتي تعرف حرفاً من الانجليزية، لهذا اعتزضت أن الرجل
يقول شيئاً قريباً من (عأووو) أو شيئاً من هذا القبيل. لكنني شرحت لها
بالعربية أن هذا الرجل هو الذي يلغاه المراه لو دحر أي بار في العالم.
السكر الذي يتسول كاساً من الحمر booze

ضحك الرجل ذو العيون الجالس قريبا ضحكة مر يعرف
هذا الموقف....

جاءت العمدة النادلة الصفحة قوية العضلات، وصاحت في عيط
"قلت لك الا تضايق الزبائن؟"

كان اسمها على صدر اليوبقورم، فقلت لها في تهديبا
"دعني يا (لدا) أرجو ان تحصري له ما يريد على حساسي"
"هل احصر له بيرة؟"
"اي شيء؟"

قيدت ما طلبت في الفكرة ودستها في جيب التنورة، ثم هرت
اصبعها منذرة في وجه الرجل وابتعدت، يبدو أن هذه كانت علامة
عمري لانه جذب مقعدا وجلس إلى مائدتي
صاحت زوجتي في رعب
"أرايت؟ كان عليك أن تكون قفطا معه"

هنا ما من الرجل على المنضدة ليصير وجهه عبر الحليق قريبا من
وجهي.. وهمس
"الحكومة الامريكية لا تريد من يتكلم يحسبون انهم يعرفون ما
يفعلون لكنهم مجموعة من الحمقى."
قلت في دهون
"حقا؟"

قال وعيناه الثعلتان فتسعان:

"حاولوا أن يمرسوسي لكن هيهات أنا كنت هناك. أؤكد لك
ذلك. لقد حكى (هنست جاديس) القصة في كتابه الذي سميت



اسمه لقد صدر عام 1965 . لن أنسى هذا التاريخ لأنه تاريخ طلاقني من (كلارا)..”

هنا جاءت الساقية بزجاجة جعة صغيرة وضعتها أمامه، ثم قالت لي:

”سوف يحكي لك القصة ذاتها كالعادة.. لو أردت التخلص منه فليتعهد علي”

هنا قال السكير وهو يصب السائل الأصفر الرغوي بيد ترتجف
”د (فرانكلين رينو) كان هناك أنا رأيته ولم أكنه كنت مجرد
سحار صغير قليل الشأن. قالوا لي إنه عبقرى وأنه يفهم نظريات
(أينشتاين) لم أفهم فقط قال لما القبطان إن ما سيحدث سوف يغير
التاريخ..”

ثم نظر خارج النافذة متأملاً وقال:

”كان هذا أكتوبر. أكتوبر عام 1943 الطقس بارد لأنه شتاء
مبكر. والحرب مستعرة في كل مكان. لكن (هتلر) العجوز كان على
وشت الانتهاء ممن عرفنا هذا. كان معي (كارلوس ألدوس) و(ديك
بريفجن) و.. نسيت أسماء الباقين..”

ثم جرع جرعة كبيرة وتجهشا وقال:

”لقد مررنا بشيء مشابه في الصيف. لكننا لم نشعر إلا بغثيان
مسيط لكن الحكومة لم ترص عن نتائج تلك التجربة. لقد تعوبت
الدمرة إلى ضباب أحمر. ولك أن تتصور ما حدث لي. لقد أفرغت كل
معدتي وظللت مريضاً شهرين لم أعرف أنهم ييئون إعادة التجربة
في ظروف أقوى.. على أننا في ذلك الصباح البارد خرجنا بالدمرة
(الدرج) الشابة الحسنة التي دشنت في أول الصيف كنا عائدتين
من مهمة في الدمام. ثم قالوا لنا إن علينا التواجد في فيلادلفيا

وفي اليوم السابق جاء (الولفس) ليرفع مولدات هائلة الحجم إلى ظهر
الدمرة..

"كنت أنا أعمل مع (المكجية) في القاع.. لم أكن أعرف شيئاً، لكن
(ديك) نزل لنا وقال إن المشهد مثير فوق ويجب أن نراه
"خرجت إلى السطح لأجد أن ضباباً أزرق يعيط بالسفينة صناعاً
مخيفاً يزداد كثافة من لحظة لأخرى."

هنا صاحبت زوجتي:

"ماذا تقولين؟"

أشرت لها أن تلزم الصمت بينما نجشأ الرجل وصب لنفسه
المزيد وقال:

"لم تعد صحتي تتحمل الكثير من الليرة البروسنات والمئات لا
أستطيع التخلص من كل كميات البول هذه.. ما علينا أين توقعت؟"
"الضباب على السطح."

"نعم، نعم، الضباب يترديد يترديد وفجأة غطت إلى أنا لا
بقف على ظهر السفينة لم أعد أرى أي شيء من السفينة تحتني ماء
أمامي ماء، لكني لا ألتصق وشعرت بعثيان مرعب عشيان يوشك على
أن يمزق أحشائي فأمرغت كل شيء.."

"هنا ظهر (ديك) وكان يقول لي وهو يمسك برأسه أنا أشعر
بأنني.. أنني سأنجز يا (ويلي) ثم سقط على الأرض الأرض
التي لا أراها. كانت هناك عارضة في هذا المكان تتصل بها حبال
المرساة، ورأيت يسقط في ذلك الموضع بالصبط

"رفعت عيني فראيت الرجال يتساقطون الواحد تلو الآخر كلهم
يصرخ ثم سمعت القبطان يصيح أوقفوا المولدات! أوقفوها هنا
بدأت أرى السفينة.. أرى الجدران وأرى المرساة وأرى الحواجر المعدنية

المحيطة بوحدة المدفعية . لقد كان (ديك) ملتحمًا بالمعدن التهامًا كاملاً
محيث صاراً عجينة واحدة . فقط كان رأسه حراً ومارالت الصرخة على
وجهه . ورايت بحاراً يخرج مصفه للعلوي بينما ذاب مصفه السفلي في
الأرضية تماماً . هذه الموحات اللعينة كانت تدببك وتدمجك بأي معدن
تكون ملائماً له . هذا آخر شيء أدكره لأنني نجت عن الوعي ”

وصب لنفسه بعض الشراب ويده ترتجف .

رفعت عيني لأرى ذلك الرجل القصير ذا العوينات يبتسم ابتسامته
المزعجة القامحة..

وأصل السكير سرد قصته

”في المستشفى جاء ثلثا لجنة من العسكريين . قالوا لنا إسمنا لم نر ما
حسبنا أنت راينا . قالوا لنا إسمنا كنا نحرف . قالوا لنا إن أي كلام عن
الموضوع سوف يقابل بعقاب شديد . وهكذا وجدت نفسي وقد سرحت
من الجيش . وكانت الحرب قريبة من نهايتها على كل حال .”

وكما يحدث مع السكارى غالباً بدأ يبكي ويولول.

”انتهى (ديك) أما (كارلوس) فقد استطاع أن يصل للصحافة
ويحكي القصة . هذه القصة كتبها (ميسنت جاديس) في كتاب شهير.
صدر عام 1965 أوكد لك هذا لأنه تاريخ طلاق ”

ثم وأصل المكاء :

”الحكومة الأمريكية تنفي أن أي شيء من هذا حدث . تقول إسمنا
كما نحرف . وأنا أقول لماذا لم يطلبوا رأينا قبل التجربة ؟ كان مكتوباً
علينا أن نذوب وننلاشي . نجوت بمعجزة ما ، لكنني أنساءل اليوم إن
لم يكن الأفضل لي أن أذوب مع من دابوا ”

ثم ألقى برأسه على المنضدة وراح في سمات عميق .



كانت بده على بعد نصف متر من روجتي، فحملتها من الكم في
اشمئزاز كأنها تمسك بفار، ووضعتها بعيداً عنها .

هنا تدخل الرجل ذو العويبات الحائس حلفي وقال:

“لا تندعش. هؤلاء المجانين كثيرون هنا إنه يحكي المعتقد الشعبي
اشائع عن تجربة (ميلادافيا) التجربة التي يرفعون أن الحكومة
الأمريكية أجرتها وجعلت بها مدمرة كاملة غير مرئية “

قلت في ذهنة.

“هل هناك شيء كهذا؟“

قال ضاحكاً

“العلم الذي ذكر اسمه هو د (فرانكلين رينو) الذي طبق نظريات
أينشتاين الخاصة بالحقل الموحد، وطبقاً لهذه النظريات فإنه باستعمال
جهاز خاص يتعامل مع الجاذبية الأرضية والموجات الكهرومغناطيسية
فإن الضوء يمكن أن يتقوس حول جسم بحيث يجعله غير مرئي. هذه
انظرية حقيقية وقد سار لها لعاب الحكومة الأمريكية تحيل جيشاً
غير مرئي يدمر وينسف وأنت لا تراه!“

قلت له:

“ولماذا تكذبها إذن؟“

قال في ثقة

“الحقيقة أنك تحتاج إلى مولد بحجم الشمس كي تتمكن من تقويس
الضوء حول جسم بحيث يصير غير مرئي الحقيقة أن المولدات
سحنت الماء فتصاعد الغبار وحدثت ظاهرة السراب إن السراب يمكن
أن يحدث أي واحد، لهذا خيل لمن يقفون على الشاطئ أن المدمرة اختفت
فعلماً عندما بدقق في القصة نجد أنه لم يحكها سوى شخص واحد من

طاقم المحررة يدعى (كارلوس أيفنس) في كل المصادر كل المصادر
النالية هي إعادة سرد لما قاله...

"لم يطور أينشتاين قط نظرية (الحقل الموحد) حتى وفاته عام
1955. ويرى العلماء أن منطوقه كان خطأ أصلاً وحتى اليوم لا
يعرف العلم طريقة يحتمل بها حقل كهربي أو مغناطيسي حول جسم
ما بحيث يصير حقيقياً"

ثم أشعل لعافه نبع وقال:

"الحقيقة أن تجربة فيلادلفيا ممتعة بالنسبة لهواة الأشياء الغامضة
وهواة نظرية المؤامرة، لكنها عادية من الحقيقة لقد صنع البعض
ثروات هائلة من وراء الكتابة عنها، لكنها لا تصمد للتدقيق."
جاءت الساقية وبطرت باشمئزاز للرجل النائم، فتناولتها حسابها
مع البقشيش.

سألتني:

"هل أنتما عربيان؟"

هرزت رأسي. وتأبطت ذراع زوجتي خارجي من هذه
الكافتيريا..

فقط على الباب سألتني زوجتي

"لم أفقه حرفاً مما يقال يجب أن تعلمني هذه اللغة اللعينة"
"هاضمو"

"ويد هذا الرجل السكير، ماذا دهاها؟ هل هو الجذام؟"

بظرت لها في عير غمهم فقالت

"ألم تلحظ أن أصابعه كلها ملتصقة ببعضها كقطعة من العجين؟"

ألم تلحظ أن سوار الساعة المعدني يحتلط باللحم كأنهما شيء واحد؟
لهذا أبعثت يده في اشمئزاز عندما أدناها مي "

بظرت إلى الكاشفيرا والرجل المائم . وهررت رأسي

قلت لها ونحن مبتعد:

“مجرد أسطورة يحبها هواة نظرية المؤامرة . أسطورة لا تصمد

أمام التدقيق”

يوم الأحد الكئيب

حزين هو يوم الأحد.. أمضيه مع الظلال..

قلبي وأنا قد قررنا أن ننتهي كل شيء..

قريباً سوف تكون هناك شموع وصلوات حزينة.. أعرف هذا..

قل لهم ألا يبكوا.. قل لهم إنني سعيدة للرحيل..

الموت ليس حلاً لأنني في الموت المسك..

وبآخر نفس في روعي أباركك..

يوم الأحد الكئيب..

كنت أحلم، وصحوت لأجدك نائماً في أعماق قلبي..

سوف يخبرك قلبي كم أفتقدك

كانت كلمات الأغنية الإنجليزية جميلة، وقد استمعت لها عدة مرات

في سيارتي اللحن كذلك وصوت المطرب الذي لا أعرف اسمه كانا مؤثرين.

أعرف أن كل ما يمت له (رأية) رفيق شفاف حزين، ولكن يجب

ألا أخلط بين الأمور من الممكن أن يكون المرء شفافاً رقيقاً - لا مانع
- ويكون كذلك لصاً غيبياً..

(رأية) دخلت مكنتي أمس. كانت دامة العينين جلست تنظر إلى

الأرض بعض الوقت لا تجد ما تقول فطلت لها مشروباً عارياً وأب
أعرف ما ستقول

قالت لي إنها أسفة قالت إنها نادمة على ما حدث. قالت إنها

ستكون أفضل..

لست قاسياً بطبعي لكني أكره أن يعتبرني أحدهم أحق هذه الدموع

الرقيقة ما كانت لتسيل لو كان لديها صمبر يؤدي عمله جيداً من قل

إن اللصوص لا يكون عند ضبطهم؟ اللصوص يكون وكذلك القنلة

والتهنئات في قضايا الآداب كلهم يكون بكاء حاراً عندما يكشف

أمرهم فهل هذا يدل على وجود ضمير؟ يدل على صحة الضمير لكنه لا يدل على وجوده إن فهمت ما أعنيه

قلت لها إنني آسف كذلك أنا لست مستولاً عن هذه الرسالة لحظة واحدة بعد ذلك، فلتعمل ما تريد فلترسل طوب الأرض ينصحنني بالتراجع فلتتصل بزوجتي كعادتها. فلتكلم د. صلاح صديق عمري أنا متصلب الرأي عنيد ولن يتغير موقعي

نظرت للأرض فاستطلت أهدابها أكثر ففتشت في حقيبتها عن شيء ثم ما لبثتني شريطاً شريط كاسيت ملفوفاً في ورقة، وقالت: "سوف أرحل قلن ترى وجهي ثانية، لكن يرجى ان تتذكرني من وقت لآخر، لذا أرجوك أن تسمع هذا الشريط وانت وحدك"

نظرت للشريط في حبرة ليس لدي الوقت لسماع شريط اعتذار أو اعتراف بحبها العميق لي لا أحد يصغي لاعتراف بالحب من فتاة تمر بظروف هذه لأنها لن تقول سوى الكذب فهمت بطرائقي فقالت:

"هي مجرد أغنية أنت تعرف أنني كنت في الخارج منذ شهرين، وقد رافقت لي هذه الأغنية وأما أرجو أن يسمعها"

هكذا انصرفت فتاة حساسة رفيقة وأنا اعتدت أن هذه الشخصيات الحساسة تؤدي الآخرين وتؤلمهم طيلة الوقت، وقديماً قال أوسكار وايلد إن الشخص الحساس هو شخص يدوس على أقدام الناس جميعاً لأن قدمه هو تؤلمه.

استمعت إلى الشريط في السيارة على سبيل القبول فلم أجد سوى تلك الأغنية (يوم الأحد الكئيب) وهي أغنية جميلة فعلاً كلها شجن كأنها وردي دابلة، لكن هل تتوقع مني رابية أن أسمعها فابكي وأمرع لها لأقول إنني آسف؟..



(رأية) غير متزوجة.. (رأية) حسماء ثرية أنيقة جدًا (رأية) تحضر لدرجة الماجستير وأنا ألتشرف على رسالتها (رأية) تساهر كثيرًا للخارج. وفي وسعها أن تحضر معها ما تريد من مراجع عندما قدمت لي تلك الملزمة الأنيقة الفاحرة عدت لداري متوقفاً أن أجد عملاً راقياً جديراً بوجهها الجميل. بالواقع بدا لي الأمر محكماً أكثر من اللازم بعد نصف ساعة بدأت أقهر هذه الرسالة مسروقة بالكامل من إحدى رسائل جامعة الرقازيق، ومن حظها العاثر أن لدي نسخة منها

رفعت سماعة الهاتف وطلبتها وقلت لها رأيي أنت لصة يا (رأية). هذه سرقة علمية لا شك فيها، وأنا آسف لأسني وثقت بك. منذ هذه اللحظة أنا أرفض الإشراف على رسالتك
 - د. محفوظ.. أنا آسفة -
 - وأنا كذلك آسف -

رأية ترسل لي الكثيرين من أصدقائي يطلبون أن أسس الأمر. أن أعطيها فرصة أخرى. أشخاص مهمون يتصلون بي زوجتي تسألني عن سبب ضيقي من رأية بينما كانت لهجتي لا تخفي إعجابي بها لا أطيق أن يسحر أحدهم من دكانتي أسفروا من شكلي.. من ثيابي. من سيارتي من أنفي. لكن لا تسحروا من عقلي من فضلكم فهذه إهانة بالغة.

في البيت فمت بتشغيل الشريط وجلست في غرفة مكثبي أدون بعض المسودات. كلمات حريئة فعلاً اللحن نفسه يوحى بالبهية.

عند منتصف الليل نام الجميع وظللت وحدي في المكتب أنظر لضوء الأباحورة والطلال الممتسعة على الجدران في ظروف كهذه جلس صديقي وتلميذي (فوري) وحيداً قبل أن يفجر رأسه بطلقة مسدس. يوماً بعد يوم يرحل رفاقي وغداً يرحل أولادي وغداً أصير وحدي

تماماً.. هل حققت في حياتي شيئاً حقاً؟ لا اعرف. كلام في كلام.
هواء في هواء

من أنا؟ وهل حقاً ما رأت ذات الشخص الذي كنته منذ عام؟.. منذ
شهر؟ منذ ثلاث دقائق؟

أتأمل وجهي في المرآة فأرى ملامح عاسية متجهمة لا تبحث
الطمأنينة في النفس. الراقع أنني أستطيع أن أفهم كيف يبلغ المرء مقت
النفس حتى ليفجر رأسه. هذا شيء مفهوم.

هكذا ظلت في اكتئاب يعتصر قلبي وقموط لا أرى له مبرراً حتى
الصباح. من الصدفة أنه صباح الأحد. سيكون أحدًا كثيرًا جديراً
بالأغنية

ذهبت إلى العمل. هناك قابلت د. (صلاح) صديقي العزيز، الذي
قال لي وهو يدمق وجهي
- "تبدو لي ميتاً.."
- "هذا حق.. أنا ميت فعلاً.."

وأطرقت ورحلت أرشف قذح القهوة الذي طلبته بينما أذنس لحنًا
يتردد في ذهني. قال لي في دهشة كأنه تذكر شيئاً
- "ما هذا اللحن الغريب؟"

- "لا أدري. ربما أغنية سمعتها أمس لا أذكر نعم. هو كذلك
أغنية سمعتها أمس"
قال في دهشة:

- "سمعة هذه الأغنية سيئة في الولايات المتحدة أنت تعرف أنني
قصيت فترة طويلة هناك. يطلقون عليها اسم (أغنية الانتحار المجرية)
يدهشني أنك تعرفها"

- "لا أفهم.. هل أصلها مجري؟"

مر رأسه أن نعم ووعظني بأن يحاول تذكر القصة لأنه لا يذكر
التفاصيل، وبصحفي بأن أعود للبيت مبكراً لأنني مرهق.

اتصل بي قبيل المغرب وكان متوتراً جداً قال لي
"لقد استرجعت كل البيانات بسدد أصيتك هذه لقد كتبها
شاعر مجري اسمه (لارلو يافور) دخلت الولايات المتحدة عام
1936 وراقت لبعض المطربين الذين جعلوا شعراء منهم (سام لويس)
و(درويد كارتير) يترجمون كلماتها إلى الإنجليزية من هذا بدأت
سمعتها السيئة"

"أية سمعة سيئة؟"

"أنها تغري من يسمعون بالانتحار هذه أسطورة حضرية لكنها
قوية جداً ما زاد الطين بلة هو أن مؤلفها المجري انتحر عام 1968
وثب من الزائدة تكروا انتحار الكثيرين بعد سماعها حتى أنها حُرمت
في بلدان كثيرة علماء النفس يعرفون هذا الموضوع ويقولون إن سنوك
الانتحار بعد بطبيعته مثلاً في قصة حوته الشاعر الألماني العظيم
(آلام هرتز) أطلق البطل الرصاص على رأسه، وبعد نشرها بدأ عدد
كبير من الشباب العاشل في الحب ينتحر بذات الطريقة وقد أطلقوا
على هذا اسم (تأثير هرتز)..."

ثم صحت قليلاً قبل أن يضيف:

"لكن هذه كلها خرافات طبعاً..."

"حزين هو يوم الأحد أصيبه مع إطلاق

قلبي وأنا قد قررت أن أنهى كل شيء."

قريباً سوف تكون هناك شموع وصلوات حريية أعرف هذا

قل لهم ألا يبكوا قل لهم إني سعيدة للرحيل "

كانت الأعية تتردد في رأسي ومعها عش دبابير لماذا قضيت ليلة



أمس أمقت نفسي إلى درجة الجنون؟ لماذا بدت لي فكرة الانتحار مقبولة إلى هذا الحد؟ هل هي تلك الأغنية اللعينة بجوها المقتصر؟
(رأية) ليست ساذجة لماذا اختارت لي هذه الأغنية بالذات كهدية؟
أغنية عن الانتحار تقدمها للرجل الذي يملك خراب بيتها، وأراهن أنها لم تحاول أن تسمعها.

سواء كانت هذه الأغنية خرافة حضرية أم حقيقة فمن الواجب أن أتخلص من هذا الشريط المشنوم. لا يجب أن يسمعها واحد يعرف الإنجليزية

دخلت إلى مكتبي وفتحت جهاز الكاسيت فوجدته فارغاً من أحد الشريط؟ خرجت إلى الصلاة وناديت زوجتي فجاءت من المطبخ وهي تمسح يدها من أثر الطهي. سألتها عن الشريط فقالت
“(محمود) كان يبحث عن شريط جديد يسمعه. دخل غرفة المكتب ربما كان هو؟”

محمود هو ابني المراقب طبعاً، وهو يجيد الإنجليزية لأنه في مدارس لغات منذ صغره.
“واين محمود؟”
“لا أعرف”

انفجرت صارخاً فيها واصفاً إياها بالبلاهة وعدم المسئولية... هي لا تفهم حرفاً من الإنجليزية ولو سمعت عشرة شرائط فلي تقم شيئاً رجعت أفتش عن الفنى في كل غرفة وسألت أخوتي عنه فقط وجدت الشريط في جهاز الكاسيت في غرفته قالت لي زوجتي مهددة
“هذا هو الشريط. لا تقلق أنت تعرف أنه يحافظ على كل شيء”

ثم تذكرت فقالت في غيظ.

“هل لأمه من (رابية) هانم تحدث كل هذا الصخب؟”

كان قد سمع الأغنية عرفت هذا عندما قمت بتشغيل الشريط. هكذا خرجت من الشقة مسرعًا وقلبي يتواثب في فمي. أين يمكن أن أجده وكيف؟ هنا رأيت مؤرًا عامضًا يتسرب من تلك الفرجة عند السطح نور بنو العروب المميز الأرجواني.. هناك شخص قد فتح السطح وخرج..

وثبت الدرجات أربعًا وقلبي يسبقني في الوثب. صبرًا يا محفوظ. لا تكن أحمق. كل هذه أسطورة حضرية لا أساس لها من الصحة.. الفتاة أرادت إيهامك بلا شك لكن هل محاولتها تلك ذات قيمة؟ دخلت عبر باب السطح لأجد آخر منظر توقعته في حياتي. كان ابني (محمود) يقف هناك على السور سامعًا يطر للشارع تحته وقد لحن رأسه على صدره. كان يبكي..

“محمود؟”

وهرعت نحوه بحذر وشعرت براحة عندما أمسكت بمصامته قبضت عليها كفي بقوة وشددته للخلف فلم يقاوم. سقط على ركبتيه وهو مستمر في البكاء.

“لا أعرف ما دهاسي؟ فجأة شعرت أنني مجرد مراقب فاشل في الدراسة والحب وكل شيء..”

“وهل كنت تتوي أن؟.. قل لي إنك كنت تراقب الشارع لا أكثر”

نظر لي وانتسم في مرارة وقال.

“بالفعل. لم اتق أي شيء. صدقتني فقط كنت أسأل نفسي عن شعور الذين يقفزون من مكان مرتفع. كنت أحسبني لن أفهم أبدًا لكنني لسبب ما أشعر بأنني أفهمهم”

احتضنته ومشيت به نحو باب السطح سمعته يهمن بشيء ما
هناك حيث كان معه قرب صدري، فسألته عما يقول. قال:
"لا شيء.. مقطع من أغنية إنجليزية يقول: قلبي وأنا قد قررنا أن
ننهي كل شيء لا أنكر أين سمعت هذه الكلمات"
"لم اسمعها قبل.. حاول أن تتسى.."
وكانت الشمس تنحدر نحو الغرب معلنة نهاية يوم الأحد الكئيب...

لأنها، حقيقة

دكتور ناجي صديق عزيز صحيح أنه شاب يصغرني بعشرين عامًا، لكنك بهذا تريد ألا أتعامل إلا مع المسنين ذوي العصي الذين يجتمعون في قهوة (الأصيل) ليلعبوا الدومينو ويشربوا البينسون، ويتحدثوا عن مشاكل الضغط والسكر والمفاصل. أنا بحاجة للاتصال بالشباب من حين لآخر.. أعتقد أنهم يجددون دمي فعلاً، يمكنني أن أفهم منطق الشيخ الذي يتزوج فتاة في العشرين ليجدد دمه.. فقط أنا لا أتزوجهم لكنني أسمع آراءهم!

د. ناجي يصغرني بعشرين عامًا، لكنني أعتقد أن الناس تكف عن النمو بعد الأربعين. كلهم يتشابهون ويصغرون في سن واحدة، فلا يوجد شيء غريب في أن تجد شلة أصدقاء بعضهم في الأربعين وبعضهم في الخمسين وبعضهم في الستين هذه سن واحدة بشكل ما..

لهذا حكى لي د. ناجي قصته عندما تأخر عن عمله في ذلك اليوم. لا وقت لاختذ السيارة لأن سائس السيارات سيقتضي دهرًا في مسح العنار عنها، دعت من ضرورة تسخين المحرك لبعض الوقت، لذا رتب د. ناجي إلى أول سيارة أجرة وجدها وطلب من سائقها التوجه للمستشفى..

هنا رأها..

هل قلت لك إنه غير متزوج؟ نعم. لقد تأخر نوعًا لكنه ما زال شابًا كما قلت لك، وعندما رأى (عايدة) تستوقف سيارة الأجرة بدت له أروع شيء رآه في حياته. نظر بسرعة إلى يدها اليمنى فابيسرى فلم ير تلك القيد الذهبي. قال لنفسه إن هذا طبيعي جدًا لأنه لو ظفر رجل بهذا السحر لمات من الفرحه. معنى هذا أنها ستصير أرملة لو قررت أن ترتبط..

لم يعرف وجهتها ولا أي شيء . لم يسمع أو سمع ولم يميز . فقط جلست هي في المقعد الخلفي وراءه ، وبالطبع كان مرعفاً على أن ينظر أمامه انطباع عام كونه عنها رائحة لا يعرف أية تفاصيل . لا يمكن أن يستفزع صورتها من بين ثلاث صور لا يعرف كيف تنبس . لا يعرف أي شيء سوى وهج أعمى عينيه للحظة وجعله يجثو على ركبتيه سريعاً

السائق يشق شوارع القاهرة وهو يلعن الزحام ، ثم يشعل لفافة تبغ

ما هذا الآن ؟ التفت ناحي إلى الحلف ليتأكد فوجد أن الفتاة تثن بقوة . تغطي وجهها والعرق يغمر جبينها وهي تجاهد كي تتنفس . قال السائق في زعر وهو يكلم الفتاة في مرآة الرؤية الخلفية .
 " يا أختي .. هل أنت بخير ؟ "

هزت رأسها أنها بخير ، لكن كل شيء كان يقول إنها في أسوأ حال ممكن .

" هل ترغبين في الذهاب للمستشفى ؟ " أما طبيب وذهب إلى هناك

هزت رأسها من جديد بمعنى أنها بخير ، وكان ناحي الآن يمر بحالة مزدوجة من العضول العلمي والاهتمام المهني مع اهتمامه بالعتاة ذاتها هكذا مد يده في جيبه وأخرج بطاقة ماؤها لها
 " أرجو أن تتصلي بي لو أردت شيئاً . "

كان قد بلغ وجهته الآن فترجل ونقد السائق ماله ، والسائق ينظر له نظرة مستعينة لا بد أن معانها (ابقى معي حتى أتخلص من هذه المصيبة ترى من النحس الذي رأيت وجهه في الصباح ؟) .



فتاة رقيقة - قال ماجي لنفسه - ولأنها رقيقة فهي تفقد وعيها كل
ثلاث دقائق. هذا هو التوصيف الفكتوري للأمور. تشحب ثم تصرخ
وتسقط على الأرض كرهرة دابة. إن عصبهن الحائر يعمل بكفاءة
أكثر من اللارم، دك من تأثير الحر الخاق ولعافة تبع السائق. نعم.
هذا هو كل شيء. سوف تتحسن من دور تدخل من أحد.

لقد نسى (ماجي) هذا الموقف لكن وجه الفتاة لم يفرقه، وضبط
نفسه يحلم بها في إحدى الليالي، وقد كان الحلم حقيقياً - كما قال
- لدرجة أن أحامله كانت تحمل رائحة شعرها.

بمسأله في شك.

“أنت شممت رائحة شعرها في عالم الواقع؟”

“بالطبع لا.. لكن لاند لفتاة مثلها أن تفوح من شعرها رائحة أزهار

السوسن”

“وما رائحة أزهار السوسن؟”

“يا أخي أنت تسأل أسئلة عريضة إنها رائحة شعرها طبعاً”

على كل حال لا تفتني القصص بهذه السهولة لقد تلقى مكالمات

هاتفية منها ذات ليلة، وهي المكالمات التي عرف منها أن اسمها (عابدة)

احسن جميل يقترب بالرق في ذهنه سواء كانت (عابدة) الارستقراطية

اللعوب بعيدة المجال في ثلاثية (نجيب محفوظ) أو (عابدة) أميرة أومرا

فيردي الشهيرة.

كانت مهندسة كمبيوتر تعمل في إحدى الشركات التي يهتم

القانون - على ما يبدو - أن يكون اسمها (ماتركس) في الماضي يبدو

أن القانون كان يهتم أن يكون اسم شركة الكمبيوتر ساديل وموايق

للحروف (أي سي إس تي) - دولي وكمبيوتر ونظم وتقنية - أما اليوم

فلا بد أن يكون الاسم (ماتركس)..

(عايدة) بخير لم تعاودها هذه التوبة ومن المهم أن تذكر أنها لم تحدث بها من قبل. المهم كي لا أطيل عليك، تم الاتفاق على لقاء. إن قصة الحب تترك ببطء...

في ذلك امركب النيلي جسا . وأشعل داجي لعافة تبع ونظر إلى النيل الساكن جوارهما وبهت عن شيء يقوله، لكن العنافة أمسكت برأسها وبدأت تكئن..

ثم أنها سقطت على الأرض والعرق يسيل من كل مسامها كانت ترتجف بقوة، وحضر له أنها مصابة بنגיوبة نقص سكر، لذا اجتهد كي يسقيها بعض العصير على حين احتشد الناس بين الفصول والرفة في المساعدة..

هذه امرة كان لابد أن يحملها حملاً ويطلب من قبطان المركب أن يرسل لهما لنشاً يعيدهما للنشط وخلال نصف ساعة كان في المستشفى يدفع المجهود مع عاملين وممرضة

هذه الفتاة مصابة بمرض عضال لا شك في هذا .

تم إجراء بعض الفحوص عليها. وراح هو يطالع نتائج التحاليل فلم ير شيئاً غريباً لا تعاني فقر دم ولا نقص سكر ضغط دمها على ما يرام وليست ككل البقيات اللاشي يعتقدون أن واحدهم أن يكون ضلطن مسحوظاً

في النهاية أفاق وأصررت على أنها محير لابد أن أعود لبيتي لأن أمي لا تعرف أين أنا.

- "عديبي أن تجري أشعة مقطعية على المخ عفا.. لا لتكون أشعة رنين مغناطيسي.. اتفقنا؟"

وحاول أن يوصلها مدارها لكنها أصررت على أن تستقل سيارة أجرة هكذا وافق مرعفاً ووعدها بأن يتصل بها عفا.

في الغد عرف أنها على ما يرام.. قال لها

”أعتقد أن لخبان السجائر تأثيراً خطيراً عليك“

التقيا بعد أسبوع وكان رايه أن حالتها تسوء قالت إنها أجرت
الأشعة المطلوبة لكن المركز احتفظ بها عرف أنها تكذب طبعاً لأن مراكز
الأشعة لا تحتفظ بأشعاتك التي ذهبت ثمنها

”أعطيني اسم المركز سوف أتصل بهم لألقنهم درساً أو حتى
أعرف محتوى التقرير“

قالت في ارتباك:

”لم أذكر الاسم إنه مركز كبير. هناك في شارع.. في شارع
مركز كبير هو..“

الاحتمال الأول هو أنها لم تجر الأشعة بطلاً أو كسلاً أو خوفاً
الاحتمال الثاني محيف وهو أنها لا تريده أن يعرف النتيجة.
نتيجة ماذا؟؟

المشكلة أن حالتها تسوء فعلاً. حتى جاء اليوم الذي جاء أبواها بها
في مستشفى وطلبوا منه أن يدخلها ويعنى بها
هناك في فراش المستشفى صارت قريبة جداً من عالمه. فلا عراية أنه
لم تعد له حياة خارج المستشفى تقريباً. وكان أول ما فعله هو أن طلب
رأي العديد من الأساتذة.. مشكلة الفتاة هي بوبات تصيبها فتتلاوي
وتفتر. ثم يغمرها العرق وتدخل في رجفات قوية تذكرت بمرضى
الملاريا. حرارتها ترتفع وتوشك على الاحتراق هذه البوبات ليست
ثابتة.. أحياناً تتحسن الفتاة جداً

هناك من قال إنها بوبات هستيرية هناك من عطشفتها السفلى في
حيرة وقال إنها مريضة بشيء ما



كانت الأمور تسوء. وجاء اليوم الذي جلس فيه جوار فراشها وأمسك بيدها فارتجفت، وراحت تشهق بلا انقطاع وقالت:
"أنا أموت.. أعرف هذا يقيناً. يجب أن تتحرر من وجهي ومن
ذاكرتي.."

قال في وله:

"تقولين هذا الهراء في اللحظة التي أعرض عليك فيها الزواج؟"
ضحكت في فسوة وقالت وهي تسعل:

"هل ترى أمامك عروساً صالحة؟ أنا مجرد جثة تتكلم"

وكانت هذه هي المشكلة. كان يعيش مع أمه. وكان رأي العجوز
قاسياً لكنه عملي جداً. الفتاة مصابة بداء عضال لا أحد يعرف اسمه..
لا يمكن أن تبدأ حياتك على أرضية مهتزة كهذه

هو نفسه ثم يكن متأكداً هل مرضها معد؟. هل يؤذي نفسه
بهذا؟. ربما كان من الأفضل أن يبتعد عنها، لكن كيف؟ هو يهيم
بها فعلاً

ولسبب لا يعرفه قرر أن يختبر عواطفه بخضة أيام..

هكذا تركها في المستشفى وسافر إلى قريته ثلاثة أيام يحاول
خلالها أن ينظر للصورة من بعيد للأسف أراد تعلقاً بها لدرجة أنه
قطع الإجازة وعاد ملهوقاً..

قابلته ممرضة على باب القسم فهتفت:

"هل رأيت مريضتك يا دكتور؟"

سقط قلبه في قدميه

"هل ماتت؟"

"بل تصفنت بشدة! هذه معجزة!"

هكذا هرع إلى غرفتها ووجدتها جالسة جوار الفراش تسحق بعض

الأرهار في مرهربية، علما بأنه هتقت في عرج بصعوبة متعا تقسيهما
من العناق.. يقول ناجي:

"للأسف، عادت حالتها تتدهور من جديد. هذه هي المشكلة التي
دفعني لطلب رأيك.. هل أقدم على الزواج مع ما في ذلك من مشاكل
هائلة؟ المشاكل تظهر بعد الزواج، لكنني في وضع حرج إذا بدأ بالمشاكل
قبل أي شيء.. هل سوف تشفى؟، هل هذه هستيريا فعلاً؟"

قلت له مفكراً

"في الحقيقة أنجاسر فأقول إن هذه العناق ليست لك، ليست لك
على الإطلاق.."

"لماذا؟ هل تعتقد أن مرضها خطر علي؟"

"بل أنت الخطر عليها! لو لاحظت لوجدت أنها تتدهور كلما اقتربت
منها أو كلمتها!، يذكرني الأمر بقصة قديمة للدكتور سعيد عبيد سمها
(وداد) وداد عتاة قابلها في القطار وولد الحب بينهما وافترقا، ثم كان
في المستشفى يعاين حالات الجدري حرج وجد مريضة نشوة وجهها
تماماً وامتلأ بالبثور المتقيحة تنز السديد اكتشف أن هذه المريضة
المختصرة هي وداد واكتشف أنه هو من نقل لها الداء الويل لانه
كان كطبيب يحمل العدوى ولم يصب بها المسكينة هي التي أصابها
الجدري ما حنصار أنت سبب مرض عايذة!"

قال في غباء

"ماذا تعني؟، أنا سليم تماماً.."

"لكنها ليست سليمة! إنها مصابة بحساسية شديدة لوجود
هذه الأعراض التي تصفها أعراض (فرط تحسس) واضحة منذ
قابلتها في سيارة الأجرة بدأت الدوبات. ثم اسفلية. ثم المستشفى
حيث تكفل وجودك بجعل حالتها تسوء. ثم أنها تحسنت عندما سافرت

لقريتك تفسيري الخاص هو أن لكل إنسان منا هالة خاصة تحيط به Aura. هناك حالات سلبية تؤدي من حولك هذه العتاة مصابة بحساسية خاصة لها تلك هذه، وقد وصف (ليديتر) هذا المرض بالتفصيل في القرن التاسع عشر، لكن بالطبع هناك من يعتقدون أنه مصاب أو مخرف عليك أن تبتعد عن الفتاة فترة طويلة وتجرب اعتقد أنها ستتحسن بالتأكيد!

نظر لي طويلاً ثم قال من بين أسبابه

“لو صح هذا الكلام الفارغ الذي تقوله فانا أعظم بحس عرمت

ابشرية. الفتاة الوحيدة التي حلفت لبي تموت لو ظلت بقربها!”

وبما أن الأيام أثبتت أنني على حق، فإني بالفعل أرشحها للنقب أكبر

منحوس في التاريخ لكن من بدري؟ سوف تظل الفتاة حية حادة

رائحة الجبال في ذهنه للأبد (تفوح رائحة السوسن من شعرها).

ولسوف تبقى ذكراها نازاً يستدفن بها في شجوحته. بينما لو

تزوجا فأنت تعرف ما كان سيحدث إن اندكرى لا تظل جميلة عندما

تفرح منها رائحة البصل وصابون الفسيل الرخيص وبول الأطفال

والشياط مع طس من الهموم اليومية. اعتقد أن ناجي ليس محبوساً

إلى هذا الحد

زائر الليل

بعد صلاة العشاء يتجه الأستاذ (رفاعي) إلى تلك المكتب بالطريق
الثاني من تلك البناية المتناعية..

يولج المفتاح في القفل، فتهب رائحة العطر معطرة برائحة حبر الآلة
الكاتبة والورق وحبر (الريو) لورق (الاستنسل) رائحة حلابة يرغم أن
الجميع يفكرون أنهم يشمونها..

هناك ترقد آلات الطباعة كديناصورات عافية ذات يوم كان المكان يعج
بالصحب فتيات دبلوم التجارة اللغات يجلسن وقد وصعن الماشف
النصر لتخفي المعانيح عن عيونهن، كما في الامتحان، ورحن يطرقن
الاناس ويطرقن المعانيح كليك كلاك كليك كلاك
ضوضاء اعتبرها شبيهة بالضوضاء الكويتية التي يتحدث عنها
علماء الفلك..

كلبك كلاك كليك. عمزات. ضحكات.. كلام عن ذلك الشاب الوسيم
الذي تقدم له (عواطف) وتضع (عواطف) يديها في حاضرتها وتصبح
في فخر وتحد:

"ليه إن شاء الله؟.. ألفا حارم وم؟"

هؤلاء يتدربن كي يصرن سكوتيرات لكنه يعرف ما سيحدث سوف
يصرن زوحات وترداد كل واحدة متهن عشريين كيلوجراماً وسوف تأتي
ابنتها ذات يوم لتتلقى التروس عندهم..

يتجه إلى المطبخ جوار دورة المياه المسدودة مدقرون يشعن اسبرتاية
وبعد لدغه كوتاً من الشاي. يفتح جهاز التلفزيون (بصر) العتيق لتظهر
العين صورة ممكة بالأبيض والأسود إن عمر هذا التلفزيون لا يقل عن
ثلاثين عاماً..

يجلس جوار زحاجة الحبر الشيبني وأقلام المسط إن الأستاذ رفاعي
حطاط ممتاز كذلك. وسوف ترى أمامه لفظ الجلالة وقد كتبه على حشب
المكتب بعدة طرق رائحة الجمال كان هو الذي يكتب عناوين الرسائل

والأبحاث وبعد أن يكتب يضع علامات عربية تشبه حرف (ال) حول
الكتابة يقول لمن يسأله إنها (تملا الفراغات)

يوماً ما كان هذا المكان يعج بالحركة والحياة كانت هناك سكرتيرة
هي واحدة من تلك اللقيات المتدربات . وكان هناك ناس متجهمون من
الذين يؤمنون بأهمية الكلمة يجلسون وعبوسهم على الأوراق يراقبون
أية عظمة ترتكبها اسنات أستاذة جامعة.. أدباء شعراء كل واحد
جالس يراقب الحروف التي تقرأ على الصفحة كأنه صقر. وقد شعر
بأن تغيير حرف واحد سوف يغير الكون . ربما يخرج زحل من مساره
ليضطدم بالمشتري ربما تعمّر الفيضانات الأرض.

من بين أستاذة الجامعة (اعرف أن الصواب هو أستاذ لكنه الخطأ
الذي صارت له قوة القانون) كنت أنا.. هناك في هذا المكتب القابع في
رفاق مظلم طبعت رسالة الماجستير. وطبعت مذكرات الطلبة. وطبعت
أبحاثي كلها.

حتى المجلة الطلابية التي أشرعت عليها طبعت هنا. أرسلت تلاميذي
له مع توصية خاصة. وهناك وقف العتية مبهورين مبلعين آلة (الريمو)
تدور منغثرة مسحوق الحبر على الورق.

لرائحة...!.. ما أجملها!

ككل شيء دائم جميل من الماضي بدأت هذه المهنة تندثر.. هناك ذلك
الاختراع الجديد المزعج المدعو (كمبيوتر) هناك مسوق الكلمات تصور
أن يكتب الكمبيوتر خطأ عربياً جميلاً! رفاعي رأى هذا الخط وبدأ له
صاعياً رقيقاً إلى حد لا يوصف.

الكل يكتب رسائله بالكمبيوتر اليوم لا أحد يريد الآلة الكاتبة الجميلة
وقطرات (الكوركتور) جرب أن يبتاع كمبيوتر مستعملاً وقصى
أسود ساعات حياته معه لكنه عجز تعاف عن فهم كيفية عمل هذا الشيء
الشيطاني . حتى أوصاع بالحروف مختلفة على المفاتيح . لا يمكن تطبيق
قواعد اليد اليمنى واليسرى التي كان يدرسها لطالبات الدبلوم

نصحه البعض بأن يأتي مشاب (عمر يفهمون هذه الأمور)، لكن الموضوع أكبر منه والعمر لم يعد يكفي لهذه التجديدات الثورية. ديكور جديد وبياض وطابعة ليزر و... ربما يحتاج تلفزيونًا ملونًا بالريموت كنترول كذلك!

إنه يرتجف كلما فكر في هذه الأمور. كلا، لم يعد عي العمر ما يكفي لهذا السخف..

جاء اليوم الذي ذهبت فيه إلى مكتبه - إن كان لي أن أقول هذا - والحجة الظاهرة هي أن أطلع بحثًا يشترط أن يكون بالآلة الكاتبة، والسبب الحقيقي هو أن استعيد بعض عبق الماضي.

كان قد شاخ حقًا وشعره صار أشيب بالكامل. كل شيء هذا محزن يذكرك بالماضي عندما كان العمل والضحكات لا تنقطع.

سألني وهو يصب لي الشاي عن أحوالي وأولادي. كان راضيًا بحياته راضيًا عن ورقه. هذا ما توقعته على كل حال.

ثم سألني في حذر وهو يقلب صفحات بلوك موت على مكتبه

.. "أنت تقرأ الإنجليزية.. أليس كذلك؟"

بظرت له في حيرة باسمه. قضيت معك عمرًا أطلع عليك رسائل كامنة بالإنجليزية. قلت لك ألف مرة إنني أدرس الأدب الإنجليزي، وبرغم هذا ما زلت تشك في معرفتي الإنجليزية.

.. "أعرف بعضها.. نعم.."

ناولني مجموعة من الأوراق العتيقة المصفرة مكتوبة بخط اليد وقال

.. "ما المكتوب هنا؟"

بدلت بعويبات عويبات القراءة وتلحست المكتوب.. هذه لغة لا أعرفها. بالتأكيد ليست الإنجليزية.. ليست الإيطالية ولا الفرنسية (إنها لاتينية لا شك في هذا).

قال الرجل وقد سمع وجهة نظري

“خمنت هذا أنا نسخ كالألة ولا أعرف حقاً ما انسخه لكني أقاين كلمة
هنا وهناك أعرف منها اللغة التي أنسخ بها.. لم أعرف هذه اللغة قط ”
قلت له في فضول وأنا أنزع العوينات.

“من الذي يأتيك بهذا المخطوط؟ لا أعرف أحداً يكتب باللاتينية إلا
تخصصات نادرة جداً ”

“إنه يأتي في الحادية عشرة ليلاً رجل قارع القامة نحيل بشكل
غريب يضع عوينات سوداء مع أمه الليل. جاء منذ أسبوع وطلب مني أن
أنسخ بضع صفحات ففعلت ثم جاء بعد يومين لأنسخ المزيد. إنه يدفع
بسفاه ولا يتكلم كثيراً لكني لم أمهم بعد...”

ثم راح يبحث بين الأوراق حتى أخرج ورقة منسوحة بألة تصوير
مستندات وقال:

“كانت الأوراق الأولى بهذا الشكل، وقد قلت له إسي أستطيع محاكاتها
بالألة الكاتبة، لكن هذا يكلف الكثير ”

كانت على الورقة دائرة غير منتظمة مقسمة إلى حبات. الأبجدية
تراصت على الإطار الخارجي.. هناك أسهم ورموز كانه تقويم من نوع
ما لا أعرف معنى هذا لكنه بالتأكيد اتعب رفاعي كثيراً
“فمت بنسخها لأنني شككت في الأمر.”

نظرت للأوراق. وفي كل لحظة أشعر بدهشة أكبر ما الذي يدفع المرء
إلى نسخ هذه النصوص؟ ولماذا يفعل هذا بألة كاتبة وليس بالكمبيوتر؟
قلت له.

“هل يمكن أن تعطيني نسخة من هذه الأوراق؟ أريد أن أعرف
كنها ”

لهس في تناقل ليرقع غطاء قماشياً متسخاً عن آلة تصوير عتيقة في
ركن المكان. ضغط زرّاً فدأت تسخى كاتبتها بيباهور عاف منذ قرون
قرر أن ينتهز. ثم ولّح الورقة الأولى مراحت الآلة نهير خرجت ورقة
في أسوأ حال فدولها لي ودس الورقة الثانية والثالثة و



هنا سمعنا صوت خطوات على الدرج..

اتسعت عيناها وهتفت في رعب.

”الحادية عشرة“ إنه موعد” يحب أن ترحل وإلا فهم ما يدور
هنا..“

لا وقت لأر الخطوات تقترب على الدرج خطوات ثلثة على الدرج
الرطب المتآكل...

لسبب ما شعرت بالدعر زعر شل تفكيرى المظفي دخلت الحمام
المجاور لي وأغلقت على نفسي في الظلام . رائحة كريهة جداً لكى لم
أعرف موضعاً آخر أتوارى فيه..

سمعت صوتاً عميقاً يسأل:

”هل انتهيت يا أستاذ رفاعي؟“

صوت رفاعي يحاول أن يبدو هادئاً يقول

”ليس بعد . ليس بعد...“

ثم صوت الرجل يقول فجأة

”ماذا تفعله بالصباح ؟ قلت لك ألا تحاول مسح أي شيء ؟“

من المرعب أن الفصيح لم يتند لي صوته قط . كان يتكلم بطريقة
تقريبية مريبة وجاء صوت رفاعي بصييح
”خفت على الأصل.. لا أكثر..“

في هذه اللحظة كان صوتهما يدل على أنهما يقفان جوار آلة التصوير
لو غادرت الآن لمن يراني الضيف ولا عفيت رفاعي من حرج كبير . هكذا
فتحت باب الحمام.. وبخفة اندفعت إلى الباب الخارجي الموارب، وسرعان
ما كنت أمشي في الحارة المظلمة وسط تباح الكلاب وعواء القطط

في الصباح اتجهت إلى د (ميجائيل حنا) أستاذ اللغة اللاتينية.
الشخص الوحيد الذي أعرفه ويجيد هذه اللغة الشنيعة

رحب بي هي حرارة وتنادى المراح. ثم جاءت القهوة ومعها وقت
الاستراحة.

أخرجت الورقتين اللتين ظفرت بهما ووضعتهما تحت أنفه فتراجع
مجلاً وقال.
"ما هذا؟"

"حصلت أنك المحول بإعطائي هذه الإجابة."

تفحص الورقة الأولى جيناً ثم قال.

"ألم تجد آلة تصوير مستندات العن من هذه؟"

"إنها آلة عتيقة لم تخصص لصيانة منذ عشرة أعوام لكن هل يوسعك
قراءة شيء؟"

راح يتفحص الورقتين ويراجع قواميسه ثم قال:

"هذه لغة لاتينية عتيقة جداً لا أفهم أكثر الموحود لكنها تتعلق بسر
قديم اعتقد أنه سر كمال السحرة يتناولونه. وأنت تعرف أن السحرة كانوا
يفضلون اللاتينية هناك طرق للتخاطب مع مخلوقات العالم السفلي
لكن أهم من هذا أن هناك تحذيراً واضحاً"
"وما هو؟"

"لا تنسخ أو تنقل ما كتب هنا وإلا لاقيت الهول الأعظم."

ثم تناولني الأوراق وقال:

"هذا مطلقاً المفترض أن هذه أسرار غاية في الخطورة. هذا تحذير
كي يمنع تداولها. من أين جئت بهذا الكلام العارف؟"
شكرته ولم أحب. وانصرفت غارقاً في التفكير..

الرائر الذي يزود رفاعي في الحادية عشرة مساء مهتم بهذه الأمور.
يريد أن يستنقذ الأوراق المصفرة البالية لكنه لا يجد الشجاعة كي
يصورها أو ينسخها بنفسه. لهذا وجد لنفسه كبش فداء في شخص

رفاعي اللباس. رفاعي سوف ينسح الأوراق عبر عالم محتوها وإن
كان هناك شخص سيلقى الهول الأعظم فهو رفاعي راته
لهذا يجزل له العطاء..

لا شك أنه احتار رفاعي لأنه يعمل وحده في مكان معزل فقر
مكاتب الكمبيوتر بشبايها الصاحبين لا تناسبه. هناك يسألون أسئلة
كثيرة. هناك يمزحون. هناك يحتفطون بنسخ من الملفات على القرص
الصلب..

الساعة الآن الثانية بعد الظهر

سوف يسفر مني رفاعي لكنني بأنفعل بحاجة إلى أن أحذره الأمر كله
مشنوم مقبص وعليه أن يعرف أن رائر اللين ليس مجرد زيون سخى
اتجهت إلى الحارة الصيقة التي امتلات الآن بالصحب وعربة فول
التف حولها الطاعمون.. لكن الحارة كدت مسدودة عند طرفها الآخر .
عربة الإسعاف الواقعة كانت هي السبب..

وسرعان ما رأيت المحفة. والمسعف يرفعانها إلى مستوى العربة
لم يكن هناك أحد يهتم . فقط بعض الصبية المصوليين الذين يكرهون أن
يقابلوا جثة ولا يلقوا نظرة .

دموت أكثر وأرحت الملاءة عن وجهه برعم احتجاج أحد المسعفين
فرايت وجه العجوز الطيب . رأيت وجه العجوز الطيب وقد تقص ذعرا
وهلما (كانه لاقى الهول الأعظم)

رفعت عينا متسائلة إلى أحد المسعفين فقال.

”موتة قلبية على الأرجح.. لم يعرف أحد حتى لاحظت إحدى الجارات

أن الشقة مفتوحة بينما هو لا يفتحها إلا ليلاً .“

تركته وأسرعت أرقى الدرج المهشم الرطب.

الشقة الفارغة مفتوحة كل شيء كما هو كما تركته أمس..

هناك رحلا شرطة ينظران لي في دهشة كانت عيني على المكتب



المعدني الصغير . المكتب الذي نصبت عليه عوينات القراءة أمس عندما
فررت من الشقة ..

لم تكن هناك .

مقط كان البلوك نوت موضوعاً على المكتب وقد انتزعت منه ورقة ..
برغم هذا كانت بقايا العبارة التي كتبت في تلك الورقة محفورة بعنف
وقسوة على الصفحة التالية الفارغة ..

تأملت الكتابة المحفورة .. العبارة التي دونها العريب كي لا ينسى .
العبارة التي حملها ومعه عويناتي .

الدكتور (محمود حجازي) . أستاذ الأنثروبولوجيا بكلية
العلوم (٩٩٩٩٩٩٩٩) ..

بيضة ودجاجة

آخر الليل. وذلك الشعور بالشجن في ذلك المقهى الذي تناثرت في أرجائه علب السمن الفارغة التي زرعوا فيها الياسمين كأنها أصص. ساحة واسعة مسقوفة. ومن السقف تتدلى نباتات الظل، هناك زثر ماء يقف على حامل ثلاثي. مع الإضاءة الحافتة الحميلة..

يأتيك (خميس) بصينية عليها كوب الشاي ذو اللون الباقوتي الجميل. وعلى طبق صغير بضعة أوراق من البعناع. تشعر بأنك تستعيد روحك مع رشقات الشاي بالبعناع. تقرر الشيشة في مكان ما، فتتصاعد رائحتها المسكرة إلى أنفك. أنا لا أأخذ الشيشة إلا لمألا لكتي أحب والاحتها وجو الدفء الذي تبعثه من حولها..

في مكان كهذا يصعب أن ترى شبابًا. إنه أكثر هدوءًا ووقارًا وشعبية مما يباسيهم.. في مكان كهذا يستحيل أن ترى جهاز تلفزيون يعرض الفيديو كليب.. يستحيل أن ترى فتاة تشرب الشيشة كتلك العادة اللعينة التي لا أصنفها حتى اللحظة. يستحيل أن تدخن المرأة الشيشة بمزاجها ما لم تكن مطمة في المديح. اعتقد أنها تدخنها لأن لها زوجًا أو حبيبًا. أحقق يعتقد أنها بهذا تصير مغربة..

ثم يأتي الأستاذ (محروس)..

تعرفه من ثيابه الرثة التي توحي بعزم مصي. وتعرفه من العود الذي يحمله ومن نظارته السمكة التي توشك أن تجعله يبدو كالنكفوفي، برغم أنه كان مصرًا.. تلك اللمسة والبسمة الواثقة الخافتة المميزة للموسيقار البقري الكفيف. سيد مكاي. الشيخ إمام.. ستيفي واندر. عمار الشريعي.

يحطس الأستاذ (محروس) ويحيينا بكفه المفتوحة ثم يمسح بها على صدره. ويطلب اليسون لا ليست (الطبة الحصى) كما يفعل الآخرون. يشرب في استمتاع وتلذذ. ولا يتسنى أن يلقي علينا نظرة من حين لآخر مكرراً بات التحية:

"د. محفوظ.. كيف الحال؟.. ربنا يكرمك"

"عم (عطية).. كيف حالك؟.. نحمد الله"

ثم ثاني اللحظة التي احببت لها الانفاس. تبدأ أنامله تجري على
الاورار وتتصاعد أعوام تسلب لك. أنغام قائمة من تلك المجمع السحري
الذي كان مونتسارت وسيد درويش وعبد الوهاب وبهته ومن وباح يعرفون
مكانه ويعملون فيه. يبدأ بأعاس معروفة لام كلفوم. ثم يعرج على الحان
لم نسمعها من قبل وأعاس تنير زهولنا. هذا أروع شيء في العالم كأنني
واحد من ملوك الف ليلة وليلة الذين يشقون ثيابهم طرباً ويعشى عليهم
كلما سمعوا أبياتاً معينة تتغنى بها جارية.

هذه اللحظات تدوم حتى الساعات الأولى من صباح الجمعة. فبعد
لديارنا غير مصدقين. بالطبع لم أكن أمام لأن صلاة الجمعة بعد ثلاث
ساعات أو أربع. لذا كنت أنتظر حتى أصليها وأتناول الغداء ثم أنام.
والنوم كان بلا أحلام سوى صوت غناء الأستاذ (مهروس)

كانت له أغنية شهيرة قام فيها بتلحين قصيدة

"أضحي الثماني بدلاً عن تلاقينا. وباب عن طيب لقيانا تجافينا"

التي كتبها (ابن زيدون) في فائتته القاسية (ولادة بيت المستكفي).
وكان صوت الأستاذ (مهروس) ولعنه يسموا بها إلى مرتبة تفوق
السيمفونيات

دائم كنا نسأله.

"ما كل هذه الروعة؟ ولماذا لا تقدم الإذاعة هذه المجوهرات للعاس؟"

كان يقول وهو يرشف الينسون إجابة واحدة لا تتغير.

"ما ليش نصيب.."

هكذا أمصيت أعواماً ساحرة من حياتي. وإن كانت ظروفني لم تسمح
لي بالانتظام في حضور (حفلات) ليلة الجمعة تلك. لكنني عرفت يقيناً أن
مشوة كهذه لن تنقضي للأبد. سوف يعوث طبعاً وسوف يشقري أحدهم
المقهى الجميل ليحوطه إلى محل للملابس الحاضرة. ربما ييمون برجا
تجارياً مكانه. طبيعة الحياة لن شيئاً بهذه الروعة لابد أن يزول.



وقد كان هذا اليوم أقرب مما تصورت..

لقد اتصل بي صديق مشترك ليخبرني أن الأستاذ محروس يلفظ أنفاسه الأخيرة في المستشفى، وأن علي أن أزوره لأنه راعب في رؤيتي هكذا فرعت إلى المستشفى الحكومي حيث العناية المركزة، ووجدت فراشه بصعوبة وسط الأطفال الصارحين ومواقد الكيوسين وسلال الأطعمة والقطط السعורה. كان على الفراش وحده وقد ثبتت إبرة وريدية في ساعده، وكان مائفاً فلم لمست ساعده في رفق فتح عينه ونظر لي، تهلل وجهه برغم أنه لا يلبس نظارته السمكة تلك حاول الموهوس فأرغمته على أن يلبس حيث هو قال لي

“لقد تلف الكبد تماماً. لا تحف. لا يوجد شيء معد في الموضوع، ربما هي الحمرة قاتلها الله. كنت أشرب ملا توقف في شبابي إنما أردت أن أراك لا ودعك، وكى استودعك سري الذي أخفيته كل تلك الأعوام”
إنه خرف الكبد طبعاً سوف يحبرني أنه أمي أو حالي أو شيء من هذا القبيل..

قال لي:

“في شبابي كنت معجباً بالأستاذ (محروس الشاوي) المطرب الكبير. كنت ألاحقه في كل مكان وأحفظ كل أغنية غناها. كان الرجل بلباً بفرد على المسارح وفي الإذاعة. وكان يلحن لنفسه على طريقة (عبد الوهاب) و(محمد فوزي)..”

قلت له في بهشة.

“ (محروس الشاوي) هذا هو اسمك”

“لا اسمي الحقيقي هو (محمد غام) من (جنزور)”

“لكنني لم أسمع عن (محروس الشاوي) الآخر هذا قط. تقول إنه كان شهيراً”

“كان يشبهني في كل شيء. لكن مصيره تغير أنا غيرته هذه قصة طويلة قد تصدقها أو لا تصدقها.”

ثم بل بلسانه شعته السفلى الجافة وراح يحكي:

- "كنت في ذلك الوقت - لعلها الخمسينات - قد قرأت الكثير من كتب السحر وتعلمت الطريقة التي ارتحل بها إلى الماضي.. هذه أمور شديدة التعقيد وتحتاج إلى من كرس حياته بالكامل لها، لكنني كنت شغفه محبور بفكرة واحدة هي أن ارتحل لأرى بدايات الأستاذ (مهروس الشناوي) هكذا تمكنت بطريقة ما أن أدخل في غيبوبة، فتحت عيني منها لأجد أنني قد عدت لمعاصري إلى بداية القرن العشرين، وكنت ألس ثيانا بلدية لا تدس على رمني كما إسي كنت أحمل قطعة ذهبية لأبيها إذا احتجت إلى مال. ورحت ألقب عن (مهروس) كنت أعرف يقيناً أنه يتواجد بكثرة في مقاهي باب الشعرية هكذا وحدته أخيراً كان شاباً يشبهني إلى حد كبير وإن بدا عليه الحرق وعلامات الحيرة كان يصفي لكل امطربين، لكنه لا يعرف كيف يبدأ ولا ماذا يصنع كل ما كان يقدر عليه هو أن يقلد السكندري العبقري (سيد درويش)...

"أصابني حيلة أمل وأما أرى مثلي الأعلى عاجراً عن أن يقدم لي أي شيء إلا إنني تعرفت عليه ومع الوقت صرنا صديقين خاصة أن سننا متقاربة كان قد جاء من قرية قرب (سها) إلا أنه وجد نفسه ضائعاً في القاهرة وقد دعاني لأن أقيم معه في ذلك البيت المتواضع على السطح

"لا أعرف كيف بدأ كل شيء، لكنني مع الوقت صرت أكلمه عن الموسيقى والتلحين اقترحت عليه أن يلحن قصيدة (ابن زيدون) الشهيرة (اضحى القناشي) وقد اقترحت عليه اللحن الذي أحفظه عن ظهر قلب، فجره، وكان أن اشده في المقهى أمام أحد أساتذة الطرب فجن جنون هذا الأخير رحى من وقت لأخر أقدم به لحناً من ألحانه التي سيكتبها في المستقبل. أئندس له الطعن وأعره على العود عن طريقي عرف لص (يا غادة) ولحن (يا بوشامة على جبين القمر) - هي الحقيقة كان متبهرجاً لا يصدق شعر بأسي أرسلت به من السعاء ولم ير عضاضة هي أن ينسب (الحاسي) هذه لنفسه! هكذا بدأت شهرته تتنامى وتتنامى سجلت له اسطوانات وذهب إلى الإذاعة.

"كانت مهمتي عجيبة. أنا ألهمه بالحانه لاني سيقولها فيما بعد على أن هذه الشهرة لعبت برأسه وجعلته يسرف في إتلاف صحته، بدأ يدخن الحشيش ويعاقر الخمر.. لقد فقد صوابه تمامًا. حتى جاءت الليلة التي وجده ميتاً فيها بعد جرعة زائدة من الأفيون.

"بكيت على جسده بكاء شديداً، وقد شعرت بأن التاريخ تغير تماماً بسببي.. لن يكون هناك (معروس الشناوي) أستاذ الأجيال العظيم، ولن يقدم الحانه الباهرة التي كنت أسمعها في شياي قبل عودتي لزمه.. ثم خطرت لي فكرة شيطانية.. لماذا لا أكون أنا (معروس الشناوي)؟ إن التشابه بيننا قوي كما تعلم. لو ليست مثله ووضعت بطارية سوداء فلن يلاحظ أحد شيئاً خاصة أن علاقته مقطوعة بأقاربه، وهكذا قمت بدفن جسده سرّاً بمعونة صديق لي، ثم خرجت إلى المجتمع وأنا أعني تراث الرجل.. من حين لأخر أقدم أعية جديدة مما كنت أحفظه. بعضها أعيدت كان سيقدمها لي الحمسيات قبل رحيلي مباشرة.

"لكن حظي كان يختلف عن حظه. يبدو أنني انتقر إلى وهج لعجاج، أو لعل إدمان الحمر قصص على فرضي في الترفي هكذا رحت أهوي باستمرار برغم أن الحاسي كانت رائحة، وقد بعث بعض الأعيان بفمسة جديها، برغم أنها صنعت مجد (معروس الشناوي) الحقيقي

"صوت أغني في المقاهي مقابل أجر بخس أو مقابل المشارب. وهي ذي حياتي قد انتهت من جديد، دون أن أترك شيئاً سوى بضعة الحار ليست لي، ودون أن أترك أسرة أو ولداً."

ثم أوشك على المكاء، فرحت لهفته وأن أنظر إلى اللون الأصفر المترايد في عيني..

عندما انصرفت قلت لمعصي إنها هلوسة لكنها هلوسة ممتعة. كانت لي حالة تعاني فشل الكبد وكانت تحكي قصصاً مضطربة عجيبة، لكن قصة الرجل مترابطة خيالية نعم لكنها مترابطة

بعد يومين كنت استعد للذهاب له في المستشفى، عندما عرفت أنه توفي أمس..



في الفترة التالية أجريت بعض التحريات عن طريق قريب لي في جنرور..

عرفت أن هناك فتى اسمه (محمد غام) من جنرور احتفى بلا سابق إنذار ولا تفسير في خمسينات القرن العشرين. هل يعني هذا شيئاً؟ بالطبع لا..

لكن لو صحت القصة جدلاً لكنت قضية فلسفية محيرة. من هو صاحب الألحان؟ (محمد غام) سمع الألحان فعاد للماضي ليلقبها لـ (محروس الشناوي) صاحبها الأصلي! (محروس الشناوي) الشاب لم يتعب في تأليف الألحان وربما وجد من يلقبها على مسامحة تلقياً. فهل هو سارق؟ سرق ماذا؟ سرق الحان الحاصة التي سيكتبها بعد عشرة أعوام!

تذكرت قصة الشيخ الذي ذهب إلى أهل الشاعر (أحمد شوقي) يوم موته ليحذرهم من كارثة "أبنكم سوف يكر ويكتب قصيدة تسيء للإسلام تبدأ بالبيت رمضان ولي هاتها يا ساق مشتاقة تسعى إلى مشتاقاً" يكر أحمد شوقي ويصير شاعراً كبيراً، هذا يحبره أهل البيت مارحين ببؤة هذا الشيخ. يروق بيت الشعر لشوقي فيكمله بقصيدته الشهيرة السؤال هنا هو هل الشيخ هو سبب كثافة شوقي لهذه القصيدة إذن؟ أم أنها كانت نبوءة صائقة؟

متى تبدأ هذه الدائرة ومتى تنتهي؟ من الذي ثعب في صياغة الألحان؟ (محروس الشناوي) الأصلي؟ .. لكنه لا وجود له. كلا الرجلين أحد الألحان على الجاهز

معصلة البيضة والدجاجة تتكرر من جديد بالحاج شديد، فلا حل لها سوى أن يكون الأستاذ محروس كان يهلوس عملاً بسبب العيوب الكبدية هذا هو الحل الوحيد الذي يريحني ويمنع رأسي من الانفجار!

الباقية

في الثقافة الغربية نجد أن الحوريات كائنات جميلة دقيقة مجنحة
تعلو قصص الأطفال.. هناك حورية الاسنان التي تأخذ سنك وتترك
لك مالا بدلاً منها (عندنا واحدة منها في مصر). وهناك الحورية الأم
التي تعنى بك طيلة الوقت عندما تبكي وحدك في المطبخ لأنك لم تستطع
حضور حفل الأمير هنا تهصص يا أسستي العزيرة لتكتشفي أنه
تحولت إلى سدريلا..

لكن الموضوع ليس بهذه السهولة، فلابد من التفرقة بين الحوريات
والافزلم. هذه الاحيرة كائنات مشوهة تعيش تحت الأرض.. هناك
الحيات الطائشة Pixies التي اشتهرت بالمرح والحرق هناك (الإلف
Elf) وهو أقرب لحية لعوب، وأكثرها يعمل في خدمة السحرة إنك تجد
كثيراً من هذه (الإلفات) في فيلم (سيد الخواتم) ..

لم يكن شيء من هذا في ذهني وأنا في تلك البقعة من شمال أيرلندا
عام 1977 إن شمال أيرلندا مقسم رسمياً إلى 26 إقليماً، لكنه بالنسبة
للعمامة مقسم إلى ستة فقط هي أنتريم وأرماج وداون وفيرماناج
وينديري وقليرن..

كنت أنا في (أنتريم) سيارة معطلة على الطريق في الواحدة صباحاً
في بلد غريب. أنت تعرف هذا الطراز من المارقي لماذا لا يخبرونك أن عليك
أن تصنع جمارير حول عجلات السيارة عندما يغطي الثلج الطرقات ؟
لماذا خصت المفامرة أصلاً ؟ لأنني كنت شاباً منهوراً أعتقد أن الموت هو
آخر شيء يمكن أن يحدث لي في حياتي!

هكذا مشيت في الظلام والبرد إنه المارقي نادر سوف تتجمد
بالناكيد لو ظللت في السيارة، وسوف تتجمد حتف لو مشيت. لكنك
تلمح أصواء القرية من بعيد، فتعرف أنك ستنجو هذه المرة. إن
الإيرلنديين حادو الطباع لكنهم أكثر شهامة من البريطانيين أو هذا ما
أعرفه. ربما هناك هاتف أو على أقل تقدير يمكنك قضاء الليلة وفي
الصباح سوف يصفو تفكيرك...

مسيت ان اقول لك ان الجليد كان ينهمر الارض مكموه بالثلج
وضع منار لان مجدوا جثتي المتجمدة في الصباح. ولولا ان هذه القرية
هنا لضعت.

بيوت القرية كلها من الطراز العتيق الجدير بالقصص. المواقد كلها
مضاءة بصوه يتفرق دليلاً على ان هناك ناراً بالداحل
دقعت اول باب في رفق..

ثم قررت ان ادق في حزم. وجدت جرساً فقرعته. لا احد يفتح.
وبرعم هذا يتكلمون وراء الباب بتلك اللهجة الايرلندية التي تشعر بانها
لا تمت للإنجليزية بصلة. إنهم هنا جميعاً...

على الأرجح يحلّس في الداحل (بائرب) و(أوليهر) و(رايان) احفاد
(أوكونور) أو (أوبرايان) أو (أوجراي) لا يوجد إيرلندي يحترم نفسه
يخلو اسمه من حرف Q و mac
لماذا لا تفتح يا اخ (أوليهر)؟..

إن الأمر يرداد حظورة بالفعل أما لا أشعر بقدمي لو لم أمت من
الوارد أن امضي حياتي بلا سائقين قدكروا أيها البلهاء نسي آت من بلاد
الشمس. حيث ينهمر المطر عشر دقائق فتفرق الشوارع، ويتدثر الناس
بالعباءات ويلبسون السراويل الصوفية ويتكلمون عن (البرد)

أعرف هذا الطراز من القصر. الفلاحون حول النار لا يفتحون
أبوابهم في هذه الليلة بالذات لأن الشياطين تعادر معاقبتها أو الخوف
يخرجون من قبورهم. رب المذموب يجول حراً أي شيء

لا أعرف بالضبط المهم أنهم لن يفتحوا. وهذه أسوأ ليلة ممكنة كي
أكون هنا لا أخاف المسوح أخاف التجمد ما نسي إذا كان حظي
النفس أوقعتني هنا في ليلة كهذه؟

ولماذا تكون الليالي المحيطة باردة دائماً؟

لكن لحظة هل تسمع هذا الصوت؟



هل الرياح تعوي؟.. لو لم تكن الرياح فهل هي الدئاب؟
لا هذا العويل الطوييييييل لا يمكن إلا أن يصدر من بشر ، وهذا هو
ما يخيف فيه..

رحت امسح الاشجار بعيني بحثاً عن مصدر الصوت هذا ليس
صعباً لأن الضوء ينعكس من الفواقد..

هناك حوار هذه الاشجار التي يكسوها الثلج كانت تلك الغتاة منكشمة
على نفسها تطلق هذا المعواء من هي؟ هل قررت أن تنحصر أم هي
مجنونة؟

إنها جميلة بحق رقيقة من الطرار القاب للكرساياه .شعر طويل اشقر
يصدل على كتفيها ثيابها خفيفة نوعاً مما يدل على أنها من تعيش ساعة
أخرى.. حتى وهي حية أرى أن شعتيها ررقاوان وبوها كلون الورقة .
مشيت لأقف أمامها وأنا أعرف ان هذه بالضغط هي غلطي الكبرى،
في ليال كهذه لا يذهب المرء ليكلم غتاة وحيدة تقف وحدها في الثلج هذه
طبعاً هي الجمية التي حبسوا أنفسهم في البيوت خوفاً منها، وأنا الأحمق
للوحد الموجود في الخارج معها هذه هي تقاليد القصص المرعبة. لكن
ملاحظتها بددت الخوف من نفسي كانت هشة فعلاً خائفة فعلاً لو لم
تكن هذه كائنًا بشرياً فمن أكون أنا؟
..لماذا تيكين؟

قالت بلهجة إيرلندية تصلح للتعريس:

..أنا (ماري أودونيل) يعتقدون أنني ملعونة . لهذا لا يسمحون لي
بالدخول وتركوني اتجمد أنا اتجمد فعلاً .
..ولماذا اعتقدوا أنك ملعونة؟

..لأنني لاسي لأنني جميلة وشباب القرية يأبون الزواج لأن كلاً
منهم يحلم بي؟

فهمت... جمالها جعل الناس تنشأهم منها.. لابد أنها ساحرة طبعاً
بدأت هذه الإشاعة مجموعة من الفتيات العاقدات

بظرت لي وسالت دمة من عينها تجعدت قبل أن تبلغ الحد

ثم اطلقت ذلك العويل الطويل الذي يمرق روحك

هنا استبد بي مزيج من الغضب والشهقة والرعب هؤلاء الحمقى
يتركبون الخرافة تقتل هذه الفتاة الرقيقة سوف يتركونها حتى تتجمد
وهي تعوي أنا ، وفي الصباح سيقولون إنها ماتت جراءها.
الفتاة تعاود الصراخ .

هكذا مشيت في حرم أجزر قدمي وسط الثلوج حتى ملغت ذلك الكوخ
دققت الباب مرارًا وصعقت :

"أنتم أيها البلهاء! الفتاة ستموت من البرد! لو لم تفتحوا لابلغت
الشرطة!"

طلالت المحاولة والصراخ بلا جدوى.

فجأة سمعت من يتكلم بالبرلمانية من الناحل ثم انفتح الباب
بصعوبة رايت وجه امرأة عجوز ووجه شاب من الطراز البرلماني
العصبي إيه لا بد أنه (باتريك) أو (بريان) فعلاً .

قال الشاب لأمه

"إنه رجل يا أمه.."

إنه عبقرى كذلك .

هنا تنحت المرأة عن الباب لتسمح لي بالدخول هناك كانت المدفأة
مشتعلة حولها يجلس ستة أفراد ينظرون لي في شك هو كاثوليكي
موج من الأيقونات والصلبان والصور الدينية.

راح ابتلع يذوب عن كتفي وحاجبي.. ناز نلوا

لم أدر متى وصعت العجوز قنبحاً من الشاي الساخن في يدي. فرحت
اعتصره في نهم قبل أن أشربه . وسرعان ما وجدت سلطانية مليئة
بجسده ساخن كنت فرحت أشربه دور أن أسأل عن محتواه لو كان
جسده أحتية فلا مشكلة عندي

قالت المرأة

“معذرة. إن زوجي مريض لهذا لا افتح للعرباء”

تذكرت على الفور سبب مجيئي يالي من غي! لذا قلت في لهفة:
“ (ماري اودوبيل) البائسة تيكى بالحارج! يجب أن تدعوها
تدخل..”

هنا تبادلت المرأة نظرة مع الشاب اتجهت إلى السعدة وأزاحت الستار
كان الثلج يكسوها من الخرج والرؤية مستحيلة، لذا أحضر الفتى شمعة
الصقة بالزجاج بعد قليل بدأت دائرة تتكون وسط الثلج. وأمكننا أن
نرى ما يدور بالحارج.

لم يكن ما رأيناه محبباً

كانت الفتاة (ماري) تلصق وجهها بالنافذة وترى إليها في ثبات دون
أن ترمش عيناها على شفقتها انسامة قاسية جمعت الدم في عروقي
المتجمدون لا يبتسمون بهذه القسوة.

همست العجوز وهي ترسم علامة الصليب:

“إنها هي!”

ثم أعادت الستار وهتفت في الفتى

“أذهب لترى أباك..”

جرى الفتى وجريت معه لا أعرف السبب لكنني توقعت ما سوف
أراه.

غرفة نوم صيقة مراش عليه رجل عجوز مدثر بالاعطية لكن عيني
شاخصتان إلى المجهول. لم احتج إلى أن اتحمس نبض عنقه. إنه ميت
جناً.

نظرت للفتى ونظر لي..

وعلى باب الغرفة رايت المرأة كانت تنظر لنا نظرة معناه (هل كان ما
توقعناه صحيحاً؟) قال الفتى بصوت محتق



”لقد توفي يا أماء . لابد أن هذا حدث الآن .“

فقدت المرأة قبرتها على الوقوف وتهاوت قدمها

قال الفتى وهو يساعدها على النهوض

”لقد سمعت الباشي Banshee تعول في الحلاء أمس ولم أرد أن

أصدق . لكننا الآن رأيناها تطل من نافذتنا !“

هما فقط تذكرت...

(الباشي) تلك الجلبة التي تجدها في أساطير الأيرلنديين منذ القرن

الثامن الميلادي حتى اليوم التي تعوي خارج البيت فيعرف سكانه أن

واحدة من أفراد الأسرة سيموت...

(الباشي) لفظة من مقطعين (بان أي امرأة، وسيدهي أي جنية)

هناك واحدة مثلها في اسكتلندا تدعى (بيليجي) (الباشي) تبدو كفنانة

دات شعر طويل، تمشطه بمشط مضي لهذا لا ينصحونك في أيرلندا بان

تلتقط أي مشط تجده على الأرض. قد يكون مشطها

قد يكون عوازا رفيقا حريبا إذا كانت تحب أفراد الأسرة، وقد يكون

مريقا صفيحا إذا كانت تكرههم .

هناك أسر بعينها ارتبطت بالباشي مثل أسرة (أودوفيل) التي تجلس

الباشي الحاصة بها على صحوة تطل على البحر في (أنتريم) وعندما

يتهدد الموت أحد أفراد أسرة (أوبيل) يتردد عواء الباشي عبر عابات

(كويل أولتاه) وفي أرجاء قلعهم القديمة

ما حدث لي ببساطة هو أنني جلست مع الباشي وتنازلنا الحديث

وحاولت أن أسمع لها بالدخول..

لم تكن تعوي من البرد..

كانت تنذرهم بموت وب الأسرة..

همس الموتى

لم أكن أعرف أن البروفيسور (جيمس ماتيسون) من المهتمين
بهذه الأمور.

أنت تذكر الرجل ، هلم من فضلك! ، لا تشعرني بأني كنت أكلّم نفسي
في كل هذه الأوراق! أبعث ذاكرتك قليلاً جمعية البحوث الروحانية
البريطانية وتلك الفترة الشخصية من حياتي. إن البعض يعتبر هذا المكان
تجمعاً للنصائح أو - في أفضل الأحوال - تجمعاً للحمقى، لكنني برغم كل
شيء وجدت في هذا المكان الكثير من الخبرات المسلية أو الجديرة بالتأمل.
لا شيء مثل البحث عن حقيقة ميتافيزيقية يساعدك في فهم نفسك
(كارل يونج) تلميذ فرويد الشهير لم يفتنع لحظة بجلوسات تحضير
الارواح، لكنه افتنع بأهميتها. إن كم المعلومات والأسرار العبيثة في
ذواتنا التي يورها جلوس عدد من الأشخاص المتوترين في الخلاء لكن
حقيقي للعالم النفسي عندما يتحرك الكوب فلربما تعتقد أنها الروح التي
تحركه. لكن (يونج) يرى أن لا وعياً هو الذي يفعل هذا كاشفاً عن كنوز
حقيقية تتوارى دأخلنا منذ عصور سحيقة

الخلاصة سواء كنت تؤمن بالظواهر الميتافيزيقية أو لا تؤمن فهذا
عالم جديد بأن تعرف عنه كل شيء..

د (جيمس ماتيسون) بقامته القصيرة وعصبته وعينه الثابتتين
شمة لطباع طفولي عام تأخذه عن مظهره، دك من الضحكة التي يكثُر
فيها عن أبحاثه وتوشك أن تكون معسولة أحياناً، لكنها مجرد تعبير عسبي
على وجهه لقد مجا من ذلك الحادث الذي كاد يؤدي بحياته والذي جعله
يمر بتحربة (دنو من الموت) كاملة من المهم أن نلاحظ أن الرجل لا يؤمن
بهذا الكلام لكنه يجربه.. لا يكف عن تجربته.

مع (ماتيسون) اجتزت ذلك الباب في البناية العتيقة التي تعود لعام
1882 الباب الذي اجتازه من قبل علماء كبار مثل الفيزيائي (كروكس)
وأدماه أكبر مثل (كوتان دويل) مؤلف (شيرلوك هولمز) وخبراء روحانيات
محترمون مثل (دوجلاس هيوم) لست أنا المحدث الوحيد هنا .

هل تذكرت الأمر الآن؟..

في العام الثاني لإقامتي في لندن توفيت زوجة د (جيمس ماتيسون)
الرقيقة (اليساباط) لا نسالي من فصلك عن سبب كونها (اليساباط)
وليسيت (إليزابيث) فالرحومة أمي لم تكن بريطانية

كان اكتئاب الرجل حقيقياً، ولفترة حسست أننا فقهاء فعلاً لقد فقد
روحه المرحه واهتمامه بأي شيء تقريباً..

مررت عليه أكثر من مرة في النادي البريطاني الذي ملتقي فيه بار
استعماري جداً من الطراز الذي يجلس فيه بهاء الإمبراطورية القنص
يعنون صياح مجد لماضي، ويشربون الشاي ويدخنون ويتقنون
الشباب الرقيق طويل الشعر

قال لي كبير السقا

”أحشى أن أقول إن سيدي لم يعد يأتي هنا، لكن بوسع سيدي أن
يفرك رسالة سيدي لو كان لي أن أقول هذا، وأمن أنني لم أتجاوز حدود
اللباقة إن كان سيدي يرى ذلك..“

لو حولنا هذا الكلام لفئة مفهومة لقلنا إن الرجل لم يعد يأتي.
عرفت فيعاً بعد أن الرجل يتردد على تلك المقبرة قرب (وستمنستر).
وبدا لي هذا مخيفاً روحه دفت هناك ومعنى هذا أن حالته النفسية
ليست على مايرام

ذهبت هناك صباحاً وبحثت عنه كثيراً حتى عرفت مكانه من لحد
نص، فمشيت بين شواهد القبور حتى وجدته كان يقف هناك وهو يحمل
حقيبة كحفية ساعي البريد على كتفه لم أفهم ما فيها، وكان مطرق الرأس
في تركيز شديد

”د (ماتيسون) هل أنت محير؟“

تنه لوجودي فرم حاجبيه وقال بلهجة عملية.



”بحير يا صاحبي الطيب بحير لما لا يدبقي أن أكون كذلك؟“
”تغير عادتك أليس هذا عربياً؟“

ونظرت إلى ياقته في دهشة إنه يثت فيها (ميكروفون) صغيراً
يخرج منه سلك ينزلق تحت معطفه ويتصل بالحقيبة كما هو واضح إذن
هذا الذي في الحقيبة جهاز تسجيل عاباً يفعله بالضبط؟ يتجسس؟
لكن على من؟

لمح نظراتي وعرف ما أفكر فيه، فقال وهو يدرس الميكروفون في
الحقيبة.

”أنا مدين لك بتفسير هل تناولت إفطارك بعد؟“

لا هناك هي ذلك الطعام الصغير القريب جلسنا أمام طبقين من البيض
المقلي والقهوة وشرانج (التوست) قال لي وهو يأكل بنهم حقيقي.
”هل سمعت عن الـ EVP؟“

نظرت له في غيابة فقال:

”ظواهر الصوت الإلكترونية. بعبارة أخرى هواية تسجيل الأصوات
القادمة من العالم الآخر هذه الأصوات تكون أوضح ما يكون في المقابر
أو حيث وصف الشهود رؤية اشباح من قبل.“

ثم أكن أعرف شيئاً عن هذا الموضوع، وإن كنت أنت تعرفه بالتأكيد لأن
فيلم (الصوضاء البيضاء) قد جعله موضوعاً يعرفه رجل الشارع، لكننا
كنا قبل عرض الفيلم بثلاثين عاماً.

شعر الرجل بأنه مدين لي بالمريد من التفسير، فقال.

”بدأت القصة بالعالم الشهير إيسون الذي قال إننا يمكن أن نصلي
للأصوات القادمة من العالم غير المادي كان هذا في عشرينيات القرن
العشرين، وبعدها بدأ الناس يهتمون فعلاً بالأمر، وظهرت أجهزة
التسجيل فراحوا يسجلون الصمت أي أنهم يسجلون أصوات الفرقة
التي لا توجد فيها أصوات. إنهم يستعملون أي جهاز تسجيل المهم أن

يكون الجهار سليماً عالي القدرة، وأن يستخدموا الميكروفون، وأن يكون شريط التسجيل بكرة لأن الشرائط المستعملة تحدث أصوات صخب غير مريحة بعد هذا تسمع التسجيل مع رفع الصوت بشدة، ومع وضع سماعتين على الأذنين يضيع الكثير من الوقت، لكنك في النهاية قد تظفر جملة جملة واحدة يقولها الموتى هناك طريقة أخرى تقضي بأن تفتح جهاز الراديو على لا محطة على الإطلاق *

ثم أرد أن أبدو متشككاً لكن الموضوع بدا لي أقرب لكلام فارغ - وأنت توافقني - لذا قلت متمالكاً نفسي

"هل هناك علماء يمارسون هذا النشاط؟"

قال بقم لوثة البيض.

"(فردريك يورجسون) درس الموضوع بدقة، وفي أوائل الستينيات كتب كتاباً مهماً اسمه (أصوات من الفضاء) .. هناك كذلك د (كونستانثين روديف) لسويدي. هناك رئيس الرابطة الحالي وهو امرأة ثرثرة تدعى (ساره استيب) يفتتها العلماء كثيراً "

كنت حواطري بالطبع حتى ذهبا إلى شقته لطلب مني الجلوس. كنا في منتصف النهار والشمس البهيلة تتسلل لتغمر عرفة مكتبه في شقته الأنيقة أعد لنفسه شراشاً ثم أدار شريطاً على جهاز التسجيل وبأدنى سماعتي أذن وطلب أن أشتها..

"ما تسمع هو ملخص ساعات طويلة من الإصغاء والتسجيل . بالطبع حولت كل هذا إلى عشر دقائق.."

في رهبة وضعت السماعة على أذني.

يا للوضوء الاستاتيكية التي تذكرك بصوت الدوامات التي تسمعها عندما تصنع قوقعة على أذنك هناك عالم كامل من الأصوات المبهمة والدوامات الصوتية ربما لو أعصت عينك لسمعت أرواحاً معدبة تنن في سقر . ربما سمعت ضحكات.. ولكن..

هناك بالفعل صوت.. بالتحديد صوت امرأة..

إنها تقول شيئاً.. لحظة.. لفكر أكثر..

” سافرت كامو مي مي كامو مي ١١. سي يو . . جم .
مي “

هكذا ذرات الرمل الصوتي الماثرة في العاصفة يمكن أن تحتشد
لترسم شكلاً ما، لكن الريح تذرهما في ثوانٍ فيغيب الشكل تماماً. تسمع
كذلك تلك الصوت يخفت ويعلو كأنه مضخة بعيدة
(” جي . مي “)

الشمس تغمر المكان لكي برعم هذا اشعر بأنها ليست كافية الشعر
يبتصم على ظهر ساعدي. أية خبرة مرعبة هذه!
قال لي باسماء:
” .. “

برعت السعادة عن أنفي ونظرت في دهشة فكرر السؤال ” ماذا
سمعت؟ “ قلت:

” صوت امرأة.. هذا كل شيء.. “

” امرأة هذا ببساطة صوت (البساطة) العبارة التي تتردد هي
(تعال لي Come to me) ثم (أفتقدك Miss you) ثم تبايني
باسمي.. جيمي “

قلت في عصبية

” هذا ليس واصفاً “

” لا تكن طفلاً.. صوت روجتي وقد سطلته وأنا أحوم بجوار التسجيل
حول قبرها. ألا يعني هذا شيئاً لك؟ “

قلت له بصراحة إنني لا أفهم وليس لدي تفسير، لكن الأمر يبدو لي
عميق التصديق كان قاطعاً ولم يسمح لي بمناقشة أي شيء

هكذا عندما فارقت بعد ساعات كان رأسي يمزج بالأفكار والهواجس،
وقد قصدت عالم آخر أعرفه وهو كذلك طبيب باطني مرموق .
د. (لانسبيرى) له عيادة صغيرة آنيقة في شارع (هارلي) المكنز الوحيد
الذي يمكن أن تجد فيه عيادات في لندن..

استقبلني الرجل ضئيل البنية عميق الصوت، وجلس يصغي
في اهتمام لما أقول . ابتسامته تتسع شيئاً فشيئاً كلما تكلمت في
النهاية قال لي:

“هذا هو التفكير التراقى التفكير الذي يوحد بين مصدقي الخرافات
في العالم كله د. (ماتيسون) عالم منطوق معتار، لكن فقدان زوجته
هر يقينه العلمي، وهو في مرحلة يمكنه أن يصدق فيها أي شيء . لقد
سمعه هذا الصوت الأمل لكنه لمي الحقيقة يسمع ما يريد هو ما يتمنى
أن يسمعه. أن يعرف أن زوجته قريبة وتكلمه لكن ما يسلحه الجهار
في الحقيقة هو خليط من الكهرمان الاستاتيكية مع صوت محرك جهار
التسجيل نفسه . ذلك من النقاط بعض الموجات من محطات الراديو العلوية
في النهاية يصلنا هذا الخليط . هنا يمارس العقل لعبة اسمها (أبوفينيا
Apophenia) لا يفهم خليط الأصوات هذا فيحاول أن يجعله كلاماً ذا
معنى. يلتقط كلمة من هذا وكلمة من هناك ويلفق معنى لا وجود له.”
“مستحيل أن تقنعه بذلك..”

اشعل سيجاراً غليظاً وقال:

“فليصدق لو كان هذا بريجه سيفعل . فقط أريد أن أؤكد من أنه لن
يطلق الرصاص على رأسه يلحق بها ما دام الصوت يقول له (تعال لي) .
هذه الأمور تحدث..”

“حقاً لم أفكر في هذا.. احتمال مقلق..”

ثم مدت يدي في جيبي وأخرجت الكمر الذي أخفيته طيلة
هذا الوقت .

لقد سرقنا الشريط من د (مانيسور) عندما خرج ليعيد لنا بعض
العصير ليس هذا سهلاً مع تلك الشروط العملاقة ذات المكّ، لكنني كنت
فعلاً بحاجة إلى رأي ثانٍ..

قال (لانسبيرى) باسماً:

“أي أي؟ أنت سرقنا الشريط العجور! لن يمر هذا على خير”

“أأمل أن أعيد الشريط قبل أن يلاحظ اختفائه أردت أن تسمعه”

لعب الشريط في موضعه ثم رجع الصوت إلى نهايته، فببته في تهديد
إلى أنه لا يد من استعمال سماعة الأذن هكذا ثمت سماعتين لأذنيه وراح
يصفى

رأيته يقطب ويبدو عليه الاهتمام أعاد الشريط عدة مرات

ومن جديد ارتسم الفلق على وجهه..

مزج السماعتين فقلت له:

“هل سمعت؟ الأمر واضح..”

سألني في صرامة

“أين كان يضع الميكروفون؟”

“بثبته إلى ياقة معطفه وضع عريب جداً كان يريد ألا يلفت نظره

الناس لهذا نأوى كل شيء قدر وسعته”

قال في حطورة:

“يجب أن نجد، إن الشطب العجور في خطر داهم”

“هل تعني أنه سيقتل نفسه فعلاً؟ بداء زوجته سوف”

كان قد وضع معطفه على كتفيه واتجه للباب، قالت بي بي في

بعشة ثم قال:

“من تحدث عن تلك الأصوات السخيفة هنا؟ قلت لك إن (الأبوغينيا)

تفسر كل شيء أما أتحدث عن ذلك الصوت المنعز في الحلعية كانه

مصحة تمتلئ وتفرغ هذا الرجل مصاب بتوسع متكيس هي الشريان



السياتي . لقد وضع الميكروفون هناك فالتقط الصوت.. يجب أن سقله
للمستشفى ولربما احتاج إلى جراحة أو عية عاجلة"
- هل تعني؟

- أعني إنه مهدد بالموت في أية لحظة لو انفجر التكنيس أو تكومت فيه
جلطة!! إن الـ EVP لم تساعد في الاتصال بالموتى، لكنها على الأقل قد
تساعده ألا يصير منهم!... هيا بنا!"

سن روينسون

يطلقون على هذه السر مصطلح (سن روتسور) واعتقد أنهم على حق.

عرفت (ميدو) الصغير جيداً. كل البداية عندما تعرف (ميدو) الصغير، وقد بدأ الكابوس منذ تعلم المشي

لا توجد شقة في العمارة لم يبق ميدو بابها

العريس الشاب (ممدوح) الذي يتمنى أن يجد نفسه وحيداً مع عروسه الحميمة (لياء) بحاجة مدقة على الباب يفتحه ليجد (ميدو). هو صبي في السابعة ينسكب شعره الأسود الفاحم على نصف وجهه، وفي عييه نظرة شقية لطيفة
".أنا ميدو"

فببتسم العريس الشاب ويهم بفتح الباب، بولا أن (لياء) تهرع لتحتضن الصغير وتقبله وتقدم له الحلوى، ثم تقتاده إلى الصالة يجلس ويشاهد (سبيس تونز) معها
".هل تسكن في هذا الطابق؟"
".لا.. أسكن في الطابق الخامس.."

(ممدوح) يغطي من الداخل ويعوب الشقة كنمر حبيس منتظراً رحيل الوغد الصغير، لكن (ميدو) يستلقي على الأريكة ويروح في سبات عميق.
كان (ممدوح) يحمله من ساقيه ليلقي به خارج لشقة، لكنها صاحت في جزع،
".سوف توفظه!!"

وحملت الشيطان الصغير إلى فراش الزوجية ومرت حذاءيه ثم غطته بشرشف خفيف، وتركته ليلا بملابسه.
كلما حاول (ممدوح) أن يقبضها بالتخلص من الوغد الصغير أو إلقائه من الشرفة، نظرت له محدرة وقالت

”كنت رقيقاً حساساً أيام الخطبة فماذا دهالك؟“

ثلاث ساعات والوعد الصغير ماتم، مما يدل على أنه بلا أهل، أو أن أهله سعداء للتخلص منه في النهاية استيقظ من النوم فجلس في الصلاة يشاهد (سيسيس تودر) بينما هرعت (لينا) تعد له بعض عصير العاكة في النهاية وقد انتهى ممنوع تماماً وصار يفتح عييه بمعجزة، أعلن يبدو أنه سيعود حتى لا تقلق عليه ماما ووعدهما بأن يزورهما كثيراً جداً

”أنتما لطيفان. استمتا مثل الرجل الذي يسكن في الطابق السادس“

يتكلم عني طبعاً

في الصباح التالي يفتح العريس الشاب الباب على قادم منكر، فيفاجأ بميدو يسأل عن صابط (لينا) ثم يدخل الشقة دون وجل، ويتجه في ثبات لغرفة النوم ليوقظ العروس. لكنها لم تندهش. نهضت من على الوسادة وتنادت وقبلته وسألته بصوت ناعم.

”ماذا أحضرت لي اليوم؟“

فيبحث في جيبه ويخرج فصعة لرجة مقررة من البوبون يضعها على الوسادة حيث ينام (ممدوح).

”الله! شكراً..“

وتنهال عليه تقبيلاً، ثم تنهض وتأخذه من يده إلى المطبخ

في موعد انهاء يدق جرس الباب ويدخل (ممدوح) وفي يده إصبعان من الكفتة وفي اليد الأخرى عود خشبي غرس فيه قطع من (الشيش طاووق) سأل عما يأكلان فأصرت (لينا) على أن قدس في يده بعض دبابيس الدجاج وهكذا عاد الشقة راضيًا وقد مسف عداء العروسين تماماً فلم يبق لديهما ما يأكلانه إلا السلاطة ووجبن (ممدوح) به يصعد الدرج قاصداً شقة أخرى! إن هذا الشيطان الصغير يمر على شقق البناية ليجمع اللحم من كل شقة! هو لا يضيع وقته في جمع العاكة أو الأرض بل هدفه محدد وواضح النتيجة أن البناية كلها صارت تعج بالجياح!



بعد ساعتين عاد الصبي لينام على الأريكة ثلاث ساعات كاملة
عندما بدأ يصرخ طالبا لعبة أصرت (ليلى) على أن يأخذ (ممدوح) إلى
السوبر ماركت أسفل الناية ليقنع ما يريد لأنه حلاك صغير هكذا نزل
معه وهو يسب ويلعن في سره. وهناك شعر بأن الصبي لا يختار لعبة
ولما هو يقوم بتعبئة حوال بطاطس في حقل إنه يستقي ألعابا لا يريد
ولا تهمة في شيء فقط لتكون عنده. ولربما كي يحرم صاحب السوبر
ماركت منها

عندما قابلت (ممدوح) على السلم حبيته وهباته على الراج كان من
الريف بهذا كان أول شيء فعله عندما سكن في بنايتنا هو أن خرج بالروب
وراج يورج الكعك على شقق البدية شقة شقة. وهو شيء لم نره منذ عام
1867 ، وهكذا كسب قلب كل السكان...

لهذا وقعت أثرثر معه كاسنا متعارفان منذ عشرات السنين
كان مرهقا منتفح العينين. وقد سأله عن السبب متوقفا أن زوجته
هي السبب لأنها شيطان رجيم مثلاً. لكنه قال لي
- "ميدو هذا!"

إنني (فميدو) قد زارته... قلت له باسمًا:
- "يجب أن تكون لطيفاً معه كلما كذلك حتى لو لم تتحمله"
"لقد صار في كل مكان. في كل ركن... لا أستطيع الخلاص منه. إنني
على شفا الانهيار العصبي"
قلت له ضاحكاً:

- "ميدو هي الساعة. هذه هي السن التي يطلقون عليها في الغرب اسم
(سن روبنسون) أي إنه يعاني حالة ظمأ شديد للاستكشاف ومعرفة
كل شيء جديد كانه (روبنسون كروزر). لكنه سوف يمل بيتك سريعاً
ويكف عن ملاحظتك. أنت بالنسبة له مجرد لعبة جديدة"

حك رأسه وشعره المنكوش المبعثر وقال:

“فليم أوكبر بسرعة أو يموت أعصابي لم تعد تتحمل!”
ثم تذكر شيئاً فسألني:
“من أهله?”

“مهندس (السيد عوض) الأم معلمة تدعى إلهام يبدو أنك لم
تقابلهما منذ جئت البناية هما يقيمان في الطابق الخامس”
قال مفكراً

“فعلاً لم أرها لم أصعد للطابق الخامس أثناء توزيع الكعك، هل
ترى أن أخبرهم؟ ربما يتذكرون أن في عروقهما دمًا ويرريان ابنتهما
جيداً”

“لا أصحك بهذا هما ليسا ودودين على الإطلاق واعتقد ابهما
موشكان على الإطلاق..”

فكر (ممدوح) في الأمر، يا للعسكينة! لهذا يحب (ميدو) أن يجوب
شقق البناية ولا يعود لشقته أبداً عندما يتشاجر الألوان يشعر الطفل
بأن أساس وجوده ذاته مهدد، ويبدأ الشعور بالقلق هل يتركاه؟ هل
يفصلان ليجد نفسه جانفاً في الشارع؟

لهذا عندما عاد إلى الدار ووجد (ميدو) في عرفة النوم - مالحداً
يلعب على الفراش مع طائط (لمياء) لم يحتد غضباً، بل إنه جرق على
دعوة الصغير للغداء، فقالت (لمياء):

“واضح أنك رائق المال اليوم.. ما هذا الكرم?”

قال في غموض:

“سن روبنسون، أ، هذا كل شيء..”

على مائدة الغداء راح يسأل الصغير عن أهله محاولاً انتزاع أية
معلومات، لكن العلام لم يكن يجيب عن أسئلة من هذا النوع على الإطلاق
كأنه لا يسمعها

لم يكمل (ميدو) الطعام ونهض ليشعل جهاز التلفزيون وراح يقبل القنوات بسرعة شديدة حتى صاح به (ممدوح) أن يتمهر قليلاً قبل أن قبل أن يتلف التلفزيون كما حدث فعلاً فجأة صارت الشاشة مملعة فيما عدا خط أررق يتراقص. نهض ممدوح في عصبية صارخاً فأجفل (ميدو) وترك جهاز (الريموت) يسقط على الأرض فيتهدشم. كان يحطم رأس العلام لولا أن صاححت (لياء) في حزم وهي تدفعه بعيداً.

ـ "ماذا ممالك؟" لم يحدث شيء سوف يصلحه لكن لا تفزع الصغير أنت قلت إنه سي روبسون؟

ـ "سر روبسون. لم أقل هذا لكن قاله جارنا (محموظ)"

هنا أعلن (ميدو) أنه سيذهب لينام

وتعنى (ممدوح) أن يكون قد أصاب الفلام بالدعر لدرجة ألا يعود فليحل مشاكله النفسية في مكان آخر لكن وجوده لم يعد مرغوباً فيه أيضاً

قابلي على الدرج وهو يحمل جهاز التلفزيون ويلهث، وباطمخ لم تكن سني تسمح لي بمساعدته سألته عما حدث فقال إنه (ميدو) قلت له باسمًا

ـ "حدث هذا عندي منذ عامين إن بين هذا الصبي وأجهزة التلفزيون علاقة عدا مريبة ولو كنت متسبها لأمرك"

حمل التلفزيون مرهقاً إلى من يصلح هذه الأشياء، وعرف أن عليه أن يدفع مبلغاً فلكياً لاصلاحه هكذا لم يعد علي استعداد للترحيب بهد المسي ثانية وقد وجد ذات مرة قطعاً من لحوى في الصيانة فأدرك أن (ميدو) كان هذا، من ثم انصرف في روجته صارخاً لقد صار يتعامل مع (ميدو) ابن سمعة الاعوام كأنه عشيق يتسلل لداره كلما خرج



على أنه استطاع أخيرًا أن يقابل مهندس (السيد عوض) هذا . كان يقف مع البواب يثرثر عندما مر به رجل في الضمسين يلبس نظارة سوداء مطرق الرأس، وحياهما بسرعة فقال البواب: "تفضل يا باشمهندس" ثم أرفف هذا مفادياً الرجل:

"باشمهندس (سيد). لم أنقاص حساب نور السلم بعد"
هكذا صارت القصة واضحة . مهندس لم يره معدوح من قبل واسمه (سيد).. لا توجد احتمالات عديدة . ركض خلفه مصافحاً وقال:
"هل أنت والد ميدو؟"

نظر له المهندس سريعاً وهر رأسه أن نعم ثم يادر بالانصراف. تذكر (ممدوح) ما قلته أنا عن أن الرجل ليس ودوناً على الإطلاق لو شكنا به الشيطان الصغير فسوف يتشاجر معه بالتأكيد فهو يقطر سماجة وخشونة.

لقد كف (ميدو) عن زيارة العريسي على كل حال.. لم يعد يستلبيهما لهم الغداء، ولم يعد يدم على الأريكة لقد انتهى عصر الرعب..
كن هذا هو وقت ريارتي الأول لنا وزوجتي للعريسين، وقد رايت أن أوجلهما نحو أسبوعين أو أكثر إلى أن يعتادا البناية هكذا جلسنا في صالون دأرهما والعروس تعد لنا بعض للعصير ومعها زوجتي، بينما رحت انهر أولادي الذين يبورون تحريب البيت.

قال لي ممدوح ضاحكاً:
"لقد كف (ميدو) عن زيارتنا"

قلت في جدية

"لقد تنبأت بهذا لقد رار جارنا (عومي) منذ أربعة أعوام فكاد يصيبه بالجنون من كثرة الزيارات، ثم كف عن ذلك ولم يره الرجل منذ ذلك المين"

قال (ممدوح) في غباء

”لحظة. أنت تكلمت عن جهاز التعريون الذي أنقذه منذ عامين، وزيارة
(عوني) التي تمت منذ أربعة أعوام. كيف ظل الفلام في سن (روبسون)
منذ ذلك الحين؟“

نظرت له وفهمت. إنه لا يعرف أي شيء على الإطلاق. هذه علقتي
وقد كنت أعتبره يعرف القصة كلها..

” (ميدو) في السابعة للأبد يا (مدوح)؟“

”ماذا تعني؟“

ابتلعت ريقى ومطرت للباب كي أؤكد من أن روجته لا تسمع وقالت
”كما تعرف فإن سن روبسون هذه تدفع الأطفال لتجربة الجديد
والمخاطرة بحياتهم في يوم منذ ستة أعوام قرر (ميدو) أن يجرب الهبوط
لأسفل فقط لم يفعل هذا بواسطة الدرج بل عن طريق ماسورة المياه في
المسقط. عانى مائة الحمام وجرب. لكن يده انزلقت وهوى ليتحطم في
المسقط.. كان في سن السابعة“

شقق مدوح غير مصدق.. فقلت :

”نعم. لكن الأسوأ هو أن الأم والأب ظلا يعتقدان أنه عائد. عرفنا أنهما
على حق عندما بدأ (ميدو) يرتاد شقق البناية يظهر في شقة أو أخرى
ليثير هلع سكانها لكنه يلعب قليلاً ويرحل بعد فترة يكف عن زيارتها
عرف السكان هذا وقرروا أن يصمتوا ولا يصابوا بالذعر عندما يأتي
سكان جدد للبناية لا نخبرهم بالقصة لأننا نعرف أنه سيتركهم بعد قليل
فلا داعي لتدمير حياتهم. إن (ميدو) سيظل في سن روبسون للأبد“

”و الطعام الذي يجمعه من البيوت؟“

”لا يفعل به شيئاً. لو سمعت للسطح لوجدته ملقى هناك“

ظل ينظر لي بنم مفتوح لا يعرف إن كان يصدق أم لا فقلت له:
”يمكنك أن تسأل الجيران أو البواب غداً. حتى تلك اللحظة أنت محق

في الشك في كلامي“

في هذه اللحظة رفع (ممدوح) عييه بيظه.

كان مبدو يقف على باب الصالون ويده في يد (لياء) وعلى وجهه
ضحكة طفولية

كان ينظر له بعينين حلوتين ويقول.

- "جئت كي لعب مع طانط (لياء) قليلاً هل توافق يا عمو
(ممدوح)؟"

—

مسكينة

عندما جاءت (سلمى) إلى دار عمها الحاج (صلاح البتھاوي) للمرة الأولى شعر بأنها هشة جدًا..

كانت في السابعة من عمرها. لها شعر قصير ناعم كأنه سطح مصقول وعينان عمليتان تتغيران في ضوء الشمس لتصيرا بلون الذهب عيان تحتلن ثلثي وجهها بلا مبالغة بينما احتشنت باقي ملامح الوجه في الثلث الباقي. هناك أنف وهم وخدان كل هذا في رقعة صغيرة جدًا. ترتدي ثوبًا أزرق بسيطًا. وفي يدها دمية من القماش تحتضنها في عصبية. نعم إن رآها حتى تذكر أخاه (مصطفى) رحمه الله وانفجر في البكاء

احتضنها وراح ينهيه وهو يدهن أنفه في شعرها، فقالت له في رفق:

.. "عمو.. أنتك ملوث بالمخاط وانت تمسحه في شعري!"

ثم قابعد أنفه عنها. وقال لروحته بلهجة أمرة

.. "أعطيتها حمامًا ثم أعدي لها لقمة يا فورية.. لا بد أن المسكينة على

لحم بطيخها.."

كانت (فورية) قريبة الرقيقة. وكانت امرأة بسيطة فعلاً تعمل كل شيء في البيت، وقد تصرفت بطريقة عملية فلم تظهر ثائراً وأخذت الفتاة إلى الحمام..

جلس هو إلى مكتبه وحاول أن يتعاسك.

يجب أن يبعد عن خياله صورة السيارة المسرعة التي تنقلب بركابها في التربة بعد منتصف الليل. يوم كامل مر وانجميع يبحث عن (مصطفى) وروحته ولم يخطر ببال أحد أن السيارة استقرت هناك في قاع التربة ولم يتمكن أحد من فتح الزجاج. فقط برل الماء بعض الصبية ففوجئوا بالسيارة. وعندما لتشلها الرجال لم يكن هناك داع للبحث عن أحياء، لكنهم فوجئوا بالطفلة تسعل وتتنفس..

.. "الأعمار بيد الله.."

قالها لنفسه وأشعل لعامة تبغ..

مر ابنه (عصام) أمام الباب فناداه (عصام) هي التاسعة من العمر لكنه (باصبح) وبنيه ولسانه طلق جدير بأن يكون ابن تاجر، ويحضر جلسات المساومة مع أبيه ويحلس مع كل أصدقائه.

جاء (عصام) فقال له الحاج

"اسمع (سلمى) ابنة أخي ستقيم معنا على طول.. أريد أن تكون رجلاً يجب أن تريحها وتشاركها اللعب ولا تصايقها أبداً أعرف أنك شيطان رجيم لكنني أطالبك بأن تتخلى عن عاداتك بعض الوقت"

عندما جاء النساء أحد الطفلة معه إلى طبيب أطفال. طبيب الأطفال فحصها بعناية ثم أرسلهما إلى طبيب أمراض قلب صديق له، وهذا فحصها جيداً وبدا عليه القلق..

طلب من الطفلة أن تخرج من العرفة ثم نظر للحاج في توتر وقال: "هناك أكثر من عيب خلقي في القلب لا أعرف كيف ظلت حية كل هذا الوقت، بل ولا أعرف كيف تحملت موضوع غرق السيارة الذي نحكي عنه، لكن ما أعرفه هو أن عمرها محدود لن نعيش كثيراً"

شعر الحاج بقلبه يتعرق هل هناك جراحة تصلح الأمرياً دكتور؟ كنا هي السبعينيات، وكانت جراحات القلب بدائية. "لا نسيء بمكس عمله فقط حاول أن نحافظ عليها من الجهد المراند"

عاد الحاج للدار مهموماً وأحضر زوجته همساً هذه الفتاة مريضة جداً مسكينة.. لن نعيش طويلاً..

سالت دمنة من عين السيدة قوية الشخصية وأقسمت أن نعيش بالصفلة حتى آخر لحظة من حياتها..

في الوقت ذاته كان (عصام) يلعب معها في الصالة اختطف منها لعبتها القماشية فأطلقت هرجة عجية. هرجة حيوانية عادة طويلة، وراحت تحري وراعه وهو يتملص منها



خرج الحاج (عصام) من غرفة المكتب مذعورًا فأمسك بابنه وهوى
على وجهه بصفعة قوية

.. "لا تتعبها أيها الحيوان!..."

ثم انتزع الدمية من يده وناولها لها..

فيما بعد احتل بابنه الباكي في غرفة المكتب وقال له همسًا

.. "الفتاة مريضة جدًا مسكينة لن تعيش طويلًا. يجب أن
تحميها"

في المدرسة عرفت المعلمات سرًا أن (سلمى) مريضة جدًا بهذا رهن
يدلها. ورحى بضربين بعنف كل من يصادفها وأرعن واحدة من
الفتيات على القيام بالواجبات الصعبة التي تكلفها

تولي الحاج (صلاح) بعد أسبوعين، والسبب بومة قلبية. لقد سمع
زوجته (موزية) تعف الفتاة لأنها لم تجذب السيفون بعد ما خرجت
من الحمام، والفتاة تصرخ صرختها المعيرة الطويلة الشبيهة بصفارة
الإطار..

خرج من مكتبه عاصمًا وسب (موزية) وسب أهلها وكاد يصفعها
احتقن وجهه وراح يسعل، ثم قال إنه يشعر بإهاك شديد وأنه يرغب في
كوب ماء...

عندما جلست له كوب الماء كان يلعب أنفاسه الأخيرة هؤلاء المحتضرون
لا يشربون أبدًا كوب الماء الذي طلبوه. لكنه وجد لديه من القوة ما يسمح
بأن يقول.

"اعتني بـ (سلمى) إنها ابنتك لا تقسي عليها أبدًا فهي
مريضة جدًا.."

ثم أغمض عينيه مع صوت الصرخة التي انطلقت من زوجته

هكذا مشات (سلمى) في البيت الذي فقد عائلته. وكانت الأم تنتظر

لها وتفكر " هذه الحائسة فقدت أمها وعمها بالإضافة لهذا هي مريضة جداً.. يا لها من قصة! "

كرر (عصام) وتولى شئون تجارة أبيه، بينما واصلت (سلمى) الدراسة حتى تخرجت في كلية التجارة

جاء اليوم الذي اختلت به أمه في عرفة مغلقة وقالت له ممسًا:

"هل فكرت في الزواج بعد؟"

"لا.."

"إذن لماذا لا تفكر في ابنة عمك (سلمى)؟ إنها فتاة رقيقة مهيبة

وسحر معرفها أنت تعرف بنات هذه الأيام اللاتي يرقصن في الديسكو ويشربن المخدرات طيلة اليوم كلهن يرقصن في الديسكو صدقي أنا أعرف هذا (سلمى) مريضة جدًا لكن لو أعطاها الله عمرًا لصارت روجة صالحة، ولو توفاهما الله فأنت قد قدمت لها معروفًا وسترتها "

كان يشعر بأن (سلمى) بمثابة أخته لكن كلمات أمه جعلته يدرك أنها فتاة رقيقة جميلة فعلاً وأنها امرأة..

هكذا تزوجا ولم يلمسها إلا مرات قليلة جدًا ويحذر شديد لأنه كان يتوقع أن تلفظ أنفاسها الأخيرة في أية لحظة حرص كذلك على ألا تحمل لأنه لا يتصور هذا الكائن الهش على مصيدة الولادة.

توفي (عصام) بعد الزواج بستة أشهر، والسبب هو مشادة مع بعض التجار حول سعر شحنة فاكهة جلبوها له وقد رفض أن يأخذها، من ثم احتدمت المفوس وتهور مجنون منهم ليهشم رأسه بسنحه ثقلها عشرون كيلو جرامًا..

وسط النساء المعريات حلت (سلمى) نبيلة شامخة رقيقة كالحنم إن الأسود يناسبها جدًا وقالت أكثر من امرأة إنها فتاة مسكينة مريضة هذا ولئن تعيش طويلاً فقدت الزوج والاب والعم من لها يا ولداه؟

كان هذا عندما شعر د (ماهر) باعتلاء مثاقته وهو جالس في سرائق العراء بين الرجال. أشار له أخو (فورية) إلى مكان الحمام فنهض ليدخل البيت ويمر وسط صف النساء الخالسات في الردهة لحظة واحدة وقعت فيها عينا على عيني (سلمى) التواستين اللتين لا تتركان موضعاً لقدم وسط وجهها

عاد وهو يغمغم لنفسه: "مسكينة..."

د (ماهر) زميل لي في ذات الكلية وهو إنسان محترم مالمس الحريم للكلمة. جينه وأخي (فورية) صداقة قديمة إنه لم يتزوج بعد برغم أنه في الأربعين من العمر.

هكذا بعد شهر واحد كان جالساً في الصالون مع (فورية) وأخيها كانت فوزية صامتة موشكة على البكاء في أية لحظة عسير على المرأة أن تروج أرملتها، لكن أخاها كان ربيعاً عملي التفكير، وقد قال أكثر من مرة.

"ألمني انقي من الميت وسحر في النهاية لن نضالها بالان تتزوج للأبد احتراماً لذكرى المرحوم أبنتك هذا حرام. ثم إن روحك أوصاك بأن تعثر بها أبنتك ما كنت لتتركي أبنتك من دور زواج"

تم الزواج بعد انتهاء العام وقد أوصت (فورية) العريس بأن يرمق مالفنة فهي "مريضة جداً مسكينة لن تعيش طويلاً"

كان هو متغافلاً كالعرسان وقد دعاسي لحفل الزفاف الذي كان متواضعاً حياً لأسباب لا تحق على أحد بدت بي (سلمى) رقيقة جداً مرهقة كأنها شبح.. ورق قلبي عندما عرفت أنها مريضة جداً ومسكينة لن تعيش طويلاً...

قال ماهر

"سوف أكون حائلاً لها مدى الحياة لو اختارها الله حواراً فلسوف تذهب بعد ما تكون عرفت مذاق السعادة"



توفي (ماهر) بعد ثلاثة أشهر في حادث سيارة مروع... وقد جاء
الناس بلعراء وهم يعرفون قصة (سلمى) كاملة الملك الصغير الذي
حرم الأب والعم والزوج الأول والثاني أصف لهذا أنها مسكينة ولن
تعيش طويلاً

كنت غارقاً في ذكريات هذه المأساة عندما هوجئت بربرة منها في
مكتبي

رقية شاحبة هشة في ثوب أسود أثيق قالت لي وعيناها تغسلان
روحها:

“المرحوم (ماهر) قال إنه يثق بك وأنه لو كان له أح فهو أنت”

“هذا صحيح.. ولكن...؟”

“كان يقول إنه لم يحدث له شيء فانت قادر على إنهاء إجراءاته في
الجامعة المستحققات المالية أنا لا أفهم هذه الأمور”

قلت في حماس:

“طبعاً طبعاً سوف يأتيك كل ملهم إلى بيتك”

وانطلقت أمهي الإجراءات بسرعة نابرق وتضاجرت مع كل الموظف
تقريباً إنها مريضة جداً مسكينة لن تعيش طويلاً

بالمأساة كيف يكون شعور الرجل إذا تزوج اثنين؟ هذا حلال
شرعاً لكننا بحرمه على أنفسنا بحكم العرف حرام والله.

كنت أعد المال الذي سأسلمه لها، عندما نرى باب مكتبي قففت
راسي..

وجدت أحاً (فورية) يقف على الباب. إسمي أعزمه اسمه (موزي) وهو
موظف في الري، وبرغم السن في القاهرة لم يتخلص من طابعه الريفي
مع روح دعابة قوية، لكنه لم يبد على استعداد للمزاح الآن.

قال لي وهو يجفف عرقه

“عرفت أن (سلمى) جاءتك تطلب مساعدتها في الإجراءات هناك
شيء معين لا يريحني بصدد (سلمى) هذه”

قلت في خيالي:

“هي مخلوقة تعسة الحظ. مريضة جدًا، مسكينة. لن تعيش
طويلاً...”

“هذا ما نقوله منذ عشرين سنة. لذا أجريت بعض البحث، وعرفت
شيئًا غريبًا. هل تعرف أنها ليست ابنة (مصطفى البنهاوي) رحمه الله؟
حتى أخيه الحاج (صلاح) زوج أختي لم يعرف هذا”
“ماذا تعني؟”

“إنها لقيطة وجدها (مصطفى) رصيدة وقرر أن يتبناها من دون
أية أوراق رسمية. قام بتروير شهادة ميلاد، وكان يعمل في السويس
فكتب لأهله في القاهرة يخبرهم أن زوجته أصيبت. أراد أن تعيش حياة
طبيعية فلا يعايرها أحد بأنها لقيطة أبدًا. وربما حتى صارت في
السابعة عندما مات في ذلك الحادث. لا يعرف هذا السر سوى خادمة
عجوز كانت عندهم”
“ومعنى هذا؟”

اتسعت عيانه وقال:

“معناه أن أحدًا لا يعرف عنها أي شيء. لا أحد يعرف من أين جاءت
ولا من أبواها الحقيقيان. والآن ألا تجد أن شيئًا غريبًا يحيط بهذه الفتاة؟
كل من رآها شعر بأنه مكلف برعايتها. وكل من تعامل معها مات. بينما
هي هي...”

وصمت وأرتجف.

ارتجعت بدوري وأما الفكر..

طفلة في سيارة تحت الماء لمدة يومين كاملين ولا يحدث لها شيء، ورغم
أنها كانت مع جثتين..

كل من تعامل معها قد مات..

وبرغم هذا يرق لها الجميع لأنها مريضة جداً مسكينة لن تعيش
طويلاً

يقولون هذا ويموتون

إن (سلمى) لقرن حقيقي. إنها قريبة جداً من سر الموت.

ربما هي الموت ذاته في صورة إنسان.

ما أعرفه يقيناً هو أنني لا أريد أن أراها ثانية !



عاشق اللوحات

في العام 1993 عرفت المستر (كارازيان)

منذ اللحظة الأولى ميزت أذني هذه (اليان) التي تدل على إنه أرمني.
الأرمن كثيرون في مصر، وبعضهم صاروا مصريين كالمصريين
أنفسهم ، ويبدو أن في لعنتهم شيئاً يجعلهم يتعلمون العربية بسهولة
وبلا أية لكمة غربية..

عرفته عن طريق د (عدنان) صديقي الذي كان من الإسكندرية، وقد
حدثني عن القصر الصغير الذي يسكن فيه ذلك الرجل الفريد

دهنا لربارته في يوم ممطر من شهر ديسمبر، وقد أثار القصر
إعجابي منذ البداية بسبب دوقه الفريد. فتحت لنا الباب فتاة لم أر جمالاً
كجمالها قط، وكان يتدلى قرط جميل من أذنها كأنه اللؤلؤ دعنا بإشارة
للدخول. وفي البهو رأيت (بيانو) من طراز أثري جميل تعزف عليه فتاة
أخرى ذات جمال نبيل شديد الرقي والاستقامة. رأينا فانتسمت في
حياء وعادرت المكان بسرعة ، فقلت لنفسي إن أفضل مجاملة تقدمها لنا
هي أن نظل جالسة حيث هي.

أما المستر (كارازيان) نفسه فقد جلسنا نتفقره في غرفة انتظار فاخرة
مزودة بمنايل رائعة بالحجم الطبيعي للإنسان.

ظهر من أعلى الدرج وهو يرتدي - كما توقعت بالصيد - ذلك الروب
للقصير اللامع، ومن تحته قميص وربطة عنق ولبي يده سيجار عريض لا
ينقصه إلا دلو به زجاجات شمبانيا وبعض التفاح ومائة بريئة يفرر بها
كي يصير أحد أشرار الأعلام العربية القديمة.

تأمل هذا الشارب الرفيع والظفرة الناعسة في عيبيه هذا رجل
عاش شبابه مع النساء وقد خدع مهن الكثيرات ملا شك العثيات
اللاتي رأياهن لم يتم اختيارهن بالصدفة إذن. هن محنارات (على
المرارة) كما يقولون.

صافحني في تحفظ بينما ارتقي حرفياً في أحضان عدنان صديقه
الصميم، وكان يتحدث عزيمة ممتازة كما قلت لك

“مصر بلد جميل لا اذهب إلى أوروبا إلا وأعتقد كل شيء هنا خاصة هذا الوفد”

قاله وهو يلکم عدنان من لوحی کتفيه مداعبًا فأطلق عدنان أنه مرحة وقال لي:

“مستر (كارازيان) مولع جدًا بالتحف واللوحات..”
“هذا واضح..”

فلتها وأنا أتذكر الفتاة التي تعرف على البياسو هذه تحفة حديثة بالافتناء فعلاً

أخذنا مستر (كارازيان) إلى باب في ركن العرفة وفتحته. ثم مشى يتقدمنا وسط رواق طويل على جانبيه لوحات لا أعرف كيف أصفها. كنت لقد رايت اللوفر فشمعت بشعور مماثل. لكن اللوفر ملك الحكومة الفرنسية وليس ملك شخص واحد مهما كان ثريًا

هناك لوحات أصلية ترى عليها ضربات فرشاة الرسام عرفت أسلوب (ديلاكروا) لمير، ورأيت وجوه (الجريكو) المعذبة المتطلعة إلى السماء، ورأيت ضربات فرشاة (رينوار) الظامنة إلى العور، والصورة الذهبية القادم من اليسار المميز لرمبرانت (ساسكيا) روجة القدس، الأجساد المكثرة البديعة الرخوة المميرة لعالم (رويس).

توقفت ونظرت للثري المصور في ذهول:
“هل هذه؟”

ابتسم وقد توقع ما سأقول
“نعم.. أصلية..”

“مستحيل وإلا قامت أمسي من قارون هذه اللوحات لا تقدر بثمن.”

فان ضاحكًا



”يسرني أن أجد في مصر من يفهم هذه الأمور عهدي بالمصريين أنهم لا يهتمون بالفن التشكيلي على الإطلاق. لكم من صيف مر بهذه الصالة فلم يهتم.. فقط يقول لي مجاملاً، لوحات جميلة.. ثم ينسى الأمر نهائياً..“

كنت قد كنت وجهة نظر معقولة هذا الرجل يتعامل مع ما فيها لوحات عالية. إنه لص آثار، وقد احتار أن يكون في مصر حيث يظل بعيداً عن عيون الشرطة لأن تواجده في أوروبا يعني انخفاض امره سريعاً . الاحتمال الثاني هو أن هذه لوحات مزورة . قام بتزويرها فنانون على قدر عال من الحرفية يحتاج الأمر إلى ناقد فني أو أستاذ فنون جميلة، وربما احتاج إلى فحص بالكربون لمعرفة عمر هذه اللوحات الحقيقي . كانت هناك لوحة تمثل مقعداً مزخرفاً شامخاً وسط ستائر حمراء. لوحة جميلة جداً لكن ثمة شيء يفتقها . كذلك كانت هناك لوحة لأريكة شرقية طويلة كان من الأجمل لو جلست عليها حساء ما، لكن الفنان فضل أن يتركها كما هي..

هناك لوحة عبارة عن مساحة سوداء لا شيء فيها لوحة غريبة جداً .

توقفت أمام هذه اللوحة وسألت مستر (كارازيان) عنها فقال: ”هذه لوحة للبرمير كان يبدأ بسطح أسود تماماً ، لكنه لم يرسم أي شيء عليها حتى مات.. برغم هذا تظل قطعة فنية مهمة من تعرف تمثال (العبد) لمايكل انكلو الذي لم يستكمله قط ؟ برغم هذا يعتبر قطعة فنية مهمة“

عندما عابرت وعدنان المكان كنت في حالة من الذهول.

سألني عن رأيي فقلت:

”صاحبك لا يريحتني البتة إلا كما يريحك التعامل مع أي نص.. لكن اللوحات فهمني وقد حركت شيئاً في روحي، وأعتقد أنني سأعود.“

بالفعل اعتدت كلما دلت إلى الإسكندرية أن أنصل بالمستقر (كارازيان) طالباً أن يسمع لي بزيارة، ويبدو أن هذا كان يسره.

صرت أعرف لوحاته جيداً وأحفظ موضع كل لوحة منها تقريباً... صحيح أن مواضعها تتغير وبعض اللوحات تختفي لتظهر لوحات أخرى ، لكنني كنت أعرف بالتقريب أهم القطع. هذا الركن فيه لوحات (هنري روسو) وهنا بعض الانطباعيين (بوشيه) هنا و(المانديما) هناك.

فقط كانت الحسن اللائي يقابلني بالصدفة عند (كارازيان) يتغيرن، ولم يتكلم عنهن قط كما لم أجسر على فتح الموضوع ربما أتكم عن تلك الحسنة أو تلك فيتصح أنها ابنته أو زوجته.

استمرت صداقتي مع الرجل عامين، وكان أن قابلت د. (عماد) في القاهرة ذات مرة ، فرحما نتحدث عن الإسكندرية .

سألته عن مستر (كارازيان) وكيف قابلته لأول مرة فقال.
- "قابلته كما قابلته أنت. صديق مشترك أحضني هناك وعرفني بالرجل..."

- "لا بد أنه في مصر منذ زمن بعيد ما دام يجيد العربية بهذا الشكل."
قال ضاحكاً:

- "لا.. قد جاء منذ ثلاثة أعوام وأمتع هذا القصر ليست صداقتنا قديمة إلى هذا الحد..."

كنت أفكر في كلامه بعمق...
عندما ررت قصر (كارازيان) في المرة التالية ، فتحت لي الباب تلك الخادمة الحسنة ذات القمط الشبيه بالفلو. ضحكت كمادتها وأشارت إلى الداخل. هي لا تتكلم أبداً. قلت لها:

- "إن ملامحك غير مصرية هل أنت قريبة مستر (كارازيان)؟"
نظرت لي واتسعت ضحكتها أكثر ولم تقل شيئاً. لا تنوي أن تتكلم.
دخلت القصر وفي المهو القسيح كانت هناك فتاة رشيقة يارعة الجمال

تؤدي بعض الحركات التي تذكرك برقص الباليه أو تدريبات
الجمباز الإيقاعي..

رائسي فككت عما تفعله، قدوت منها وسألتها بجرأة
.. هل أنت قريبة مستر (كارازيان)؟“

ابتسمت بدورها وقالت كلمة ما بالفرنسية وهرعت تبتعد
كان الباب الذي يقود إلى متحف اللوحات مفتوحاً فدخلت فدرت أن
الرجل لن يتصابق من هذا التحرر الرائد من ناحيتي ما دمت دخلت هنا
عشرات المرات..

كانت هناك لوحة جديدة تظهر مشهداً صامتاً هناك مسرح عبيد
مشاعل مثبتة على خشبته وهي تعكس ضوءاً رهيباً، لكن المسرح خال
تماماً لا أذكر أن هناك لوحة عالمية بهذا الشكل.

كانت هناك لوحة شهيرة جداً تمثل مدام (ريكاميه) الرقيقة في وضع
بين الرقاد والجلوس على أريكة شرقية هذه لوحة جديدة على قدر
علمي هل هي بريشة (ديفيد) أم (كوستابن)؟ بصراحة لا أذكر
ونجاة تصلبت..

تلك الفئاة الرقيقة التي تعرف البيانو وانني قابلتها في البهو أكثر من
مرة من قبل الا تحمل بالضبط ملامح مدام ريكاميه؟

هنا شعرت به يقف خلفي فأحطت واستبوت بسرعة كان يقف هناك
بذات الروب اللامع الذي لم أره إلا به، وكان يظفر للوحة في إعجاب غير
مبال بي، ثم قال:

.. نعم. هن رائعات، الحلم الذي ظل يؤرقني هو أنني كنت أتمنى أن
أجدهن حولي مشحمن ولحمهن كما رأى الرسام لم يرهن حقاً سوى
الرسام وقد نقل لما تلك الرؤية..“

.. إلى هنا الحد؟“



القصة واضحة . هذا الثري المخبون بالعين يبحث في كل الأرض عن
جميعات يذكره تلك اللوحات، فلا يختار للعمل عنده أو معه إلا من تشبه
ملاحها صاحبة اللوحة بقوة . لن يتعب كثيراً على كل حال حتى يجد من
تشبه الموداليرا، لأن ملاحها تذكرني مما قاله الكاتب الساحر أحمد رجب
(سني الحاجة بالطرحة وسمرتاية القهوة)

قصبت معه بعض الوقت ثم انصرفت وأنا مندهش من هذا المزاج الفني
المبالغ فيه..

جاءت الفرصة عندما قابلت أحد أصدقائي القدامى الذين ملغوا مرتبة
عالية في أحد الأجهزة الأمنية كان برتبة لواء، وقد كنا نتحدث عن جرائم
سرقة الأعمال الفنية فخطر لي أن أسأله عن مستر (كارريان) اسمه
بالكام (ميهائيل كارازيان) لا شك في أنه أرمني، وقد جاء إلى مصر
منذ خمسة أعوام تقريباً .

أحد أسيايات باهتمام ووعده بأن يتحقق من هذا الرجل جيداً وكنت
أعرف أنه سيفعل..

بعد أيام اتصل بي وقال ضاحكاً:

“معلوماتك خاطئة على طول الخط . لم يدخل مصر رجل يدعى
(ميهائيل كارازيان) . القصر الذي تتحدث عنه بلا ساكن منذ
مشرة أعواماً”

“بلا ساكن؟ لقد ررته وراره . عدما فلا تقل إننا كنا نحرف ”

“لا تقل كذلك إننا نحن من يخرق..”

وضعت اسماعلة في توتر ، وسرعان ما كنت أتصل بـ (كارازيان)
جاء صوته الهادئ المعتاد عبر الهاتف فقلت له إنني في أمس الحاجة
بريافة معرض لوحاته مرة أخرى . اليوم لو أمكن

“كما تريد . هل الساعة الخامسة عصرًا تناسبك؟”

“بالتأكيد..”

وسرعان ما كنت أستقل القطار إلى الإسكندرية يجب أن أعرف وإلا
قضيت تحبي من مرط الغيظ والحيرة. وعند الخامسة كنت على باب
القصر أبق الجرس الأثري المعتد يفتح الباب لكنني لم أجد الخادمة ذات
القرط الشبيه باللؤلؤ.

الباب انفتح من دون شخص يقف وراءه دخلت في توتر إلى اللوبي
ثم البهو.

القصر حال تعامًا ثمة جو عام يوحى بالقدم وبأن أحدا لم يعن به منذ
فترة. نسيج عسكيات وغبار في نهاية الممر ذلك الباب الذي يقود لعالم
اللوحات لا توجد إضاءة هنا

وجدت شمعة مثبتة في طبق صغير فاشعلتها يعود ثقاب ومشيت
انظر للوحات التي اعتلت رؤيتها. ما زالت موجودة حيث هي. وتوقفت
أمام لوحة مألوفة. راقصة الباليه لديجا التي تمثلها وهي ترقص على
المسرح أما أعرف هذه الفتاة كانت تتدرب على الجمبار في البهو ذات
مرة لكنني رأيت اللوحة خالية من دونها من قبل ولم افطن للعلاقة!
إس لم تكن هناك فتاة تشبهها. كانت هي لقد غادرت اللوحة لترقص
أمام عيني!...

الاربيكة الشرقية التي شعرت لذي رؤيتها بأشياء ينقصها لقد تذكر
عقلي الباطن أن هذه لوحة تمثل مدام (ريكاميه) لكن مدام (ريكاميه) لم
تكن في اللوحة كانت جالمة تعرف البيانو

أما اللوحة التي كانت سوداء كلها فقد صارت مسكونة الآن. الفتاة
ذات القرطين المصنوعين من لؤلؤ. لوحة (غيرمير) الشهيرة. هذه الفتاة
كانت تفتح لي الباب في كل مرة!

ثم توقفت أمام لوحة لم أنسها قط..

"كانت هناك لوحة تمثل مقعدًا مريحًا شامخًا وسط ستائر حمراء"

الآن أرى هذه اللوحة كاملة وأعرف لماذا بدت لي خالية إلى مستر
(كارازيان) لم يأت لمصر ولم يغادرها وعلى الأرجح لم يوجد قط إلا
في خيالنا ..

اللوحة لفنان مجهول لي تظهر رجلاً ذا ملامح مأكوفة يجلس على
مقعد شامخ كأنه العرش. رجلاً اعتاد أن يهرج ليقابل صيوفه ويقدم
معه باعتباره ثرياً يهوى الفن .. لكن النظرة في عيبيه واصمة وتخبرك
لن رسمت هذه اللوحة بالصبط. إنه الشيطان ذاته!

ستریپس

لأسماء تتعلق بهواية الكتب القديمة. أحفظ موضع واسم كل واحد من
باعة الكتب القديمة الذين تقابلهم على الرصيف في شارع النبي دانيال
بالإسكندرية.

الكتب والمجلات القديمة! احتفظت أنت بمجلاتك المصفولة فاجرة
الطباعة راحية الألوان. واترك لي الكتب المصفرة التي صارت أغلفتها
مشتبة كأذان الكلاب. واصفرت أوراقها، وفاحت منها رائحة عربية هي
مزيج من رائحة الورق القديم والسمود ورائحة لا تعرف ما هي رائحة
الذكرينات. المجلات المطبوعة باللون الأخضر الريثوني وإعلانات مصابون
(نايلسي فاروق) و و الكتب التي كتب على هوامشها بقلم رصاص
مع توقيع صاحبها يحمل تاريخ 1930 أو 1940 صور بطالات السيمما
الهوليوديات بشعاهن القرمزية المصبوغة والطابع المقنع المصطلح
عليه للجمال. كل هذا عالم ساحر بالتأكيد .

أحفظ كل ركن في هذا الشارع، وقد لتهم الكثير من مالي بلا شك .

كنت أمشي فيه منذ شهر عندما توقفت أمام ذلك المعجوز

مسن هو مكتبر قليلاً. يلبس قميصاً غير مهندم انتفخ جيبيه لأيه يضع
فيه نظارتي. مقاً وكان يجلس على مقعد ويصع قدميه على مقعد مواجه
شأن من هم مصابون بالدوالي في السائقين، وقد اتخذ مجلسه تحت مظلة
وداح يطالع مجلة قديمة.

لم أره من قبل. وهذا كشف مثير في حد ذاته، لذا توقفت جواره ورجعت
أتصفح المجلات التي نثرها على الرصيف وأثقلها بقوالب من الطوب. معظمها
كانت مجلات مصورة عربية قديمة. لو كنت تعرف الطابع المميز لمجلات
(حكايات من السرداب) و(العرض الراحف) التي كانت منتشرة في الولايات
المنخفضة في الخمسينات. ثم تم وقفها. فأنت تستطيع تحيل هذه المجلات.

كان اسم المجلات التي يعرضها هو (الرجفات) وهو اسم مثير كما
تري. كما يدل على أنها مجلات مخصصة للرجب

قلت له في تودد:



.. "أنا لم أرك هنا من قبل.. ولم أر هذه المجلات "

نظر لي فاندركت أن له عيناً تظلها سحابة رمادية فلا ترى. وقال بصوت وقور يتم عن أصل طيب:

.. "كلانا موجود منذ القدم، لكن العين لا ترى إلا ما تريد أن تراه اسمي (سليمان)"

رد معقول على كل حال انتقيت عشر مجلات مختالية من تلك، وسألته عن ثمنها فطلب ثلاثة جنيهات.. هذا سعر لا يمكن تصديقه سعر اسطوري.. عدت أكرر السؤال فكرر الجواب.

هكذا أخذت عنيتي وهرعت كي ألحق بالقطار الذي يقلني إلى القاهرة. عندما رأت زوجتي المجلات هزت كتفها بينما ضحك ابني طويلاً وقال: .. "لم أعرف أنك تقرأ هذا الكلام يا بابا مجلة ميكي في هذه السن"

عند الناس تعتبر أية قصة ستريپس مجلة ميكي مهما كانت ومهما تعقدت أحداثها لا يعرفون أن هذا فن مستقل متميز، قد يبلغ درجة عالية جداً من التعقيد والبراعة هناك ستريپس لا يصلح إلا للبالغين. ثم من قال إن حكايات ميكي ماوس تافهة في حد ذاتها؟

كانت زوجتي تعد لي العشاء، ويبدو أنها مالت على الموقد أكثر من اللارم هذا سمعت صراخاً من المطبخ.. هرعت إلى هناك لأجد ما تركض وقد أمسكت النار في صدر قميص نومها. كان المشهد مروّعاً وقد فهمت لماذا وقف ابني يراقبه كأنه يراه على شاشة التلفزيون. جريت إلى الحوض حيث كانت قد ملأت إناء بالماء. وسكبته مرة واحدة على صدر ثوبها.. أخيراً.. وقعت تبكي وترتجف بينما هي غارقة في الماء ومعظم موضع الحريق في الثوب قد تقضم. لكن لم تناد والحمد لله..

.. "أنت غير حذرة ككل النساء. كلهن يعتقدن أن الحوادث لا تقع أبداً!" قالت شيئاً عن توضحياتها في هذا البيت وكيف إنها كادت تحترق كي اتناول العشاء وبرغم هذا فلنأخذني مصيبة لا أشعر بها. هكذا تحول العشاء إلى دخولها الفراش لثنام وبيضة قليتها لنفسها على الموقد مع كوب شاي.



فتحت جهاز التلفزيون فوجدته لا يعمل هذا يوم محس تقديدي ..
(واحد من تلك الايام) كما يقول الغربيون

هكذا رحت التهم النيصه وأد أتصغح تلك المحلة بالعصر كان تصميمها
شبيهاً جداً بمجلات (حكايات من السرداب) ذات العنصر المرعبة العجة
وشديده الإمتاع برعم هذا . لا يدهشني أن كاتب الرعب الأمريكي (ستيفن
كيج) قال إنه كتب الرعب بسبب قراءاته وهو مقل لذلك المجلة.

ثمة قصة لا تبدو مرعبة لهذا الحد . رجل في منتصف العمر يبدو
أنه يعيش مع زوجته وأولاده في الكادر الأول يتشاجر مع زوجته
في الكادر الثاني الزوجة في المطبخ ثمة صورة لها وهي تصرخ وقد
تمسكت النار ثوبها . الزوج يطفى النار ويلومها.. هناك مشجرة يبدو
أن ابنه قد أثلف التلفزيون وأحرق ذلك . في الكادر التالي الرجل يحاول
فتح الجهاز لكنه مغلط . الحقبة في العدد القادم .

من الممتع رؤية كم تتطابق حياتك مع الفن أحياناً

هذا لقمان من الخمسينات عاش في الولايات المتحدة لكنه رسم مشاهد
شبيهة جداً بما حدث الليلة . فلار مجلة أخرى.

مجموعة قصص مخيفة عن أشباح في القبو صندوق فيه جثة قصة
ذلك الرجل الممل الذي لا أفهم سبب جعله بطلاً يبدو أنه جرح نفسه أثناء
الحلاقة أمام المرأة صباحاً . يعبر الشارع متصرّبه سيارة مسرعة، يطير
في الهواء لكنه لا يموت . إنه مارال سليماً..

لا أفهم هذه القصص فعلاً هي ليست مرعبة ولا مسلية لعل الاسوأ
قادم هي الأعداد القادمة.. على كل حال كان وقت يومي قد حان فدخلت
قراشي وغفوت.

تذكرت في الصباح الباكر أنني سأذهب إلى الإسكندرية من جديد اليوم
هناك تلك المحاصرات التي أقيها هناك، وهذا يعني يوماً مرهقاً آخر

حلقت نقتني في الحمام بسرعة . يا للتماسة!.. منذ صارت لي لحية لم
أكف عن عادة جرح نفسي وأنا متعجل هكذا رحت أنزل الجرح باللوسيون

الحارق، وجففت وحيي عدة مرات حتى تلطحت المنشفة بالدم.. ارتببت
ثيابي وهرعت إلى الشارع.

لا أعرف متى ولا كيف سمعت تلك العرمة فقط كنت راقدًا على
الأرض وكل عظمة في جسمي تؤلمني، وهناك حشد من الناس يجمعون
بين الفصول والشعقة وهناك فتاة مدعورة تجثو جواربي وهي تردد
- "أنت سليم.. أنت سليم.. أنت سليم!"

حركت أطرافني فكأنت سليمة قلت في شك:
- "أعتقد هذا.."

هتفت العنزة في جمع الواقفين حولي بلهجة درامية
- "الحمد لله! أنتم سمعتم!"

قال أحد الواقفين متعجبًا
- "إنه جريح في يده!"

قلت مرهقًا:

- "لا هذا جرح من الحلاقة لم يحدث شيء، أنا كنت متعجلًا شارد
الذهن لا أكثر"

ساعدتني على النهوض وأركبني السيارة إلى أين أنت ذاهب؟
الحطة أنا ساووسلك أنت بحير هه.. اليس كذلك؟

وسرعان ما وجدت نفسي في القطار لأمدا أنها كانت سعيدة جدًا
بالخلاص مني..

كان يومي حافلاً وقد اضطررت إلى شراء مسكن من صيدلية كي
أسكن الأم جسدي، على أنني عندما اقترب موعد الرحيل فكرت في أن
أجتر شارع النبي داسيال من جديد عساي أجد شيئاً جديداً بعد مائتي
مشيت في الشارع في تودة أين هو؟ أنا متأكد من أنه كان هنا.

دنوت من أحد الباعة الذين أعرفهم وسألته عن المعجوز الذي قابلته
أمس.. (إنه سليمان) موجود منذ القدم وله عين تالفة

“لا يوجد أي نافع هنا اسمه (سليمان) يا دكتور ثم إنك
تعرفنا جميعاً”

هذا غريب.. ربما تكون هلوسة لكن ليس إلى هذا الحد على كل حال
أنا أعرف الأعيب الناعة ربما (سليمان) قد وضع محلاته هنا من دون
إن (ريس الناعة) أو اللطحي الذي يسيطر على المكان، لذا قرر الباعة
عدم الاعتراف بوجوده أصلاً شيء يشبه مؤامرة الصمت (أومرتا)
المعروفة لدى عصابات المافيا..

لحقت بالقطار وعدت إلى ناري رحت أتناول الغذاء في لهقة بسبب
جوعي الشديد هنا دخل أبي الحجرة وقال لي في شيء من الحياة
والشعور بالدنوب.

“أريد أن أعترف لك لأن ضميري يؤنبني”

“ماذا هناك؟.. ربما يستر..”

“لقد تلف التلفزيون بسببي وصعت كوب الماء فوقه فاسكب بعدها
أصدر الجهاز فرقة وهمد تماماً..”

وبخته شدة على هذه الحماقة وإن حمدت الله على أن أنعجراً عاتياً
لم يحدث غداً سوف أحد الجهاز إلى من يصلحه وليكون خرابي بيتي
قريباً.. ربما محتاج لشراء جهاز آخر.

بعد قليل جاءت زوجتي تحبرني أنها ستخرج مع الأولاد قليلاً سرف
تشتري لهم بعض اللوارم ولسوف تعود في ساعة متأخرة لا بأس..
هكذا من دون تلفزيون رحت أقلب أعداد المجلة إياها
لدر بعض الأعداد الجديدة أي التي لم أقرأها أمس.

رايت مثل القصة - ذلك الكهل الممل - جالساً إن زوجته تخبره أنها
حاركة بالسيارة مع الأولاد للتسوق على الطريقة الأمريكية إنه وعيد في
داره. يكتشف أن حوص الماء مملى والماء يفرق أرضية المطبخ فيزجر
ويعلق الصبور هناك كاسر يظهر الميت من الخارج وقد بدأ الظلام يحل.



البيت يكبر كأن هناك من يقترب منه على طريقة لقطة (وجهة النظر)
السينمائية. بدأت محالب تضغط على الجرس.. البطل يفتح الباب وقد
بدأ عليه الدعر يتساءل: أهذا أنت؟ هنا ترى وجه القادم.. إنه مسخ
مخيف يقول وهو يضحك ليكشف عن أنياب كالمدى: نعم يا (جورج) أما
هو الشيطان ذاته!.. لقد جئت لأخذ روحك!

الكهل يحاول الفرار لكن الشيطان يقبض عليه بيد مخفية يضربه
بسكين عملاقة فيطير له أذناً ثم يضربه من جديد فيمرق أنفه. الكهل
يتوسل لكن الشيطان يولج محالبه في عنقه الكهل يموت..

أرحت المجلة جانباً ما هذا المسخف؟ هل هذا الهراء هو ما يقدمون
للأطفال هناك؟ ثم يتساءلون عن سبب كثرة السفاحين في بلادهم!
كل هذا الدم في صفحة واحدة وبريشة رسام بارع
حقاً. هناك الكثير من التسلية مما لكها مجلة لا تناسب
الأطفال البتة

هذا الصوت!

نهضت إلى المطبخ وأثار عيظي أن رجعتي سميت الصنبور مفتوحاً
كان تدفق الماء أسرع من تصريفه من ثم سال ليفرق أرض المطبخ. هذا
موضوع مشاجرتنا القادمة إذن. لن أجف شيئاً سوف اكتفي بقلل
الصنبور لأن التجفيف مشكلتها هي.

سوف أعود إلى الأريكة وأقرأ مجلة رهيبة أخرى من مجلة
(الوجعات) هذه

جرس الباب يدق. ليكن سوف أرى من هذا السخيف الذي يأتي من
دون موعد. ثم أعود لأطالع باقي المجلات.

إن أمسية شائقة تمتلئني بعد التخلص من هذا القادم اعرف هذا
أشعر به.



القط الذي انحرف

تقول لي (نرمين) وهي ترتجف:

"أنت تعرف تلك اللحظة عندما يعتبرك انك مجنوناً، بينما أنت على يقين بأنك لم تفقد ذلك المحيط بين الواقع والخيال بعد."

تقول لي (نرمين) وهي تعتصر عينها لتقلت القطرات المألومة الأولى.
"لا أعتقد أن هناك شخصاً آخر يمكن أن يصفي لي سواك يا د (محفوظ).."

تقول لي (نرمين) وهي تجفف أهدابها بمسديل ورقي.
"أني لم يصدق حرفاً هذه هي المشكلة الأبناء لا يفهمون أبداً."
كنت أصغي لكلامها وأنا أفكر إن (نرمين) جارتني كما تعرف طالبة
جامعية هائلة الطباع مهذبة وليست من الطراز الهستيري عندما تقول
شيئاً فهي على الأرجح تعنيه..

قلت بلهجة فاطمة لا تسمح لها بالتراجع
"سوف نرود (حليمة)، وسوف مأخذ رأيي . أعتقد أن رأيي سينتهي
القصة"

هكذا تجدي أركب السيارة وجواري (نرمين) متوترة دامعة، وعلى
حجره القفص الصغير الذي يقبع فيه (ميشو) كان متوتراً مندهشاً من
هذه الرحلة بالسيارة، لكنها كانت تركزت على القفص وعلى بيله الذي يبرر
من حين لآخر وتقول له كلمات مطمئنة .

هناك كان د (حليمة) الطبيب البيطري صديقي بانتظار في مكتبه، وقد
تبادل معي حديثاً مرخاً وتعرف على (نرمين) التي زعمت أنها قريبة
كل رحلاً هي الخمسين له شارب عظيم يوحى بلثة الحق أنني أحترم
الاطباء البيطريين بشدة أكثر من سواهم العقري الذي يستطيع فهم الام
مريض لا يتكلم ولا يكتب . ليس الغريب أنهم بخطئون بتشخيص أحياناً
بل المذهل أنهم ينجحون في أغلب الأحوال..

لقد راح يتحصن القط الأشعث القابع في القفص، والقط كذلك راح يبدله نظرات متشككة. هذه القطط الفارسية ممتلئة لدرجة لا تصدق تذكرني بمليونير بدين جشع ثقيل الظل والحركة ولا يجيد سوى التهام الطعام. أفضل القطط البلدية الرشيدة خفيفة الظل متقلبة المزاج إياها راح يتحصن القط ثم فتح القفص ومد يده يعاينته.

في كس راح القط يتظاهر بأنه مهتم راح يعاين تلك اليد بلا حماس باعتباره هذا واجباً لا مفر منه..

في النهاية أعلق د (حليقة) القفص وقال ل (نرمين) - "إنه في صحة ممتازة لا يمكن أن يكون مصاباً بالسعال بأي حال، برغم أن الطريقة التي هي أخذ عينة من المخ ومحصنها مجهرياً، لكن للسعال علامات لا تحصى العي دك من أنه يأكل ويشرب ولا يتساقط اللعاب من شديقه، ولم يتعرض لهجوم من حيوان مسعور"

قالت له في توتر

- "أذن لي أن أطمئن؟"

- "أطمئني تماماً بمكسي أن أحد هذا القط ليلعب مع أطفالي"

ثم أضاف في سخرية.

"لكن الأمر ليس مصيرياً لهذا الحد... يمكنك التخلص منه في أية لحظة يمكنك اقتناء قط تطعنين له أكثر لو أردت لأخذاء ووضعناه تحت المراقبة"

قالت في حزم.

- "لا أنت لا تفهم. هذا القط صديق عمري منذ عشر سنوات إلى التحلي عنه يشبه التحلي من انني"

ابتسم من جديد وقال-

- "أذن لا داعي للتحلي منه عودي للميت وأطعميه وجبة بسمه."

وهكذا انطلقت معها عائدين للسيارة كنت اشعر بألمي سخيـف..
لكن هذا كان أفضل حل وجدته لمشكلتي لا أحد يتكلم بعد الطبيب
البيطري...

قلت لها ونحن في السيارة
"هو هادئ الطباع تمامًا بل هو شبه معمل. أين تلك الشراسة التي
تكلمت عنها؟"

"هي موجودة لكنها لا تظهر عندما تبحث عنها"
"أعتقد أن المشكلة انتهت على كل حال إن القطة حساسة ولا يمكن
لهم مزاحها ربما تتوتر لأسباب لا نفهمها قديمًا اعتقد الناس أنها ترى
أشياء لا نراها نحن. هذه فكرة مرعبة بوفكرت فيها"

كما قد وصلنا البيت فقالت لي وهي تترجل
"شكرًا يا دكتور (محمود) كنت أعرف أن بوسعي أن أثق بك"
ثم ابتعدت والعص يتعلق في يدها والنقط يسطر لي نظراته الثقيلة
السمجة

ومرت الأيام..

تقول لي (برمين) وهي تشفق بعفـف:
"الأمور تجاوز الحد"

تقول لي (نومين) وهي تخفي وجهها:
"إنه غريب الأطوار.."

تقول لي (نرمين) وهي تبكي من جديد
"أعتقد أن (محمود سراج) يعرف السبب."

هذه المرة ثمالكت أعصابي بصعوبة. وقلت لها وأنا أعد من واحد
لعشرة

"ألا تترين أنك تبالغين فعلاً؟ كل هذا التعبير في حياتك بسبب قط؟"



مهما كان ثميناً أو بهيئتها بالتخلص منه أحد الخيارات الواردة. إن الحياة
أعقد وأكثر كآبة من أن يفسدها قط

قالت في غضب.

“هل رأيت؟ أنت كالجميع كالآخرين لا تفهم لماذا أبكي وأقلق من
أجل صديق قصيت معه عشر سنوات سعيدة ثم إن الأمر لم يعد يتعلق
به بل بهم ما حدث إن (محمود سراج) يعرف أنا واثقة من هذا “
كانت تتكلم وهي ترفع كمها عن ساعدها. هنا رأيت ألين جرح طولي
يمكن وصفه. لقد نهكتك الانسجة تماماً.

صحت في وعي:

“لا بد من أن يرى طبيب هذا الجرح..”

“ربما أفعل ذلك، لكنني لا أريد أن يشعر أبي بشيء سوف يتخلص
من انقط كخطوة أولى..”

تقول لي (نرمين):

• (محمود سراج) جارنا في البناية، وهو رجل في الخمسين يعيش
وحده لا أعرف عنه إلا أنه مهندس وأنه مهذب من الطراز الذي يكره
أن يترك أثر أقدامه بأي شكل على غبار ممشي الحياة تقابله على الدرج
فيبظن للأرض ويواصل الصعود، لكن أبي كان يتبادل معه بعض الكلمات،
ويؤمن أبي أن هذا الطراز من الناس هو العريس الأمثل لآية فنانة فقط لو
كان الأحق أصغر سناً نوعاً كلما كان الرجل أحق صموئلاً انطوائياً
تفيل للظن بدا لامي منسياً أكثر..

(محمود سراج) يخرج ليلاً في جولات طويلة. أعرف هنا لامي
- بصفتي من ربات الأرق - أقف في شرفة عرعتي أحياناً فأراه يهرج
في أوقات عريضة جد، وهو ما يثير الرجفة عندما تراه بمعضفه الطويل
الأسود يعشي وحده في الشارع العالي بعد الثالثة صباحاً يشق طريقه



وسط الضباب الذي بدأ يتكون وصوت نباح الكلاب الضالة من بعيد. لا أعرف متى يعود لكنه لا يعود أبداً وأنا متيقظة

كان هذا كل شيء أعرفه عنه، حتى حجز لنا أبي أسبوعين في مصيف (رأس الير) وأصدر قراره بأن نذهب جميعاً. كان هذا أول عام لا تعمل فيه عمداً خادمة تعنى بالنيت أثناء سفرنا، وبالطبع لا توجد في مصر مهنة من يعنى بالحيوانات الأليفة كما في الخارج لهذا صار من المحتم أن نأخذ (ميشو) معنا إلى المصيف، لكن أبي كان قاطعاً لن يتحمل اصطحاب قط معه مع كل ما يسببه هذا من مشاكل. إن اصطحاب قط قد يكون أكثر صعوبة من اصطحاب ثلاثة أطفال.

إن ماذا فعل؟ بالطبع هذه الأمور سهلة على الكبار جميعاً. تخافني منه لكنني كنت واضحة لو أرادوا ترك القط فعندهم أن يتركوني كذلك، وبالطبع أطلق أبي سياراً من الغضب على رأسي ثم جاءت الفكرة.

زار المهندس الوحيد في شقتي وتفاوض معه، ومن الغريب أن الرجل قبل العرض بسهولة وبشاشة، ثم جاء أبي يصحني وأنا أحمل علبة من الورق المقوى فيها القط وأعطيته للمهندس مع تعليمات العناية به، وخاصة اتيكيت قضاء الحاجة الذي سيكون مشكلة على الأرجح. هناك كيس مليء بالسّمك المجمد وكل ما عليه هو أن يسلق سمكة للقط يومياً ليس هذا سهلاً أو ساراً، لكن القطط كاشات حية وعليك أن تقبل هذه الحقيقة ليست مجرد صور لطيفة على بطاقات.

هكذا سافرنا. لا أنكر أنني نسيت القط العزيز، لكني تجرأت ذات مرة واتصلت بالمهندس لكنني لم أجده في الدار أصابني هذا بالعيظ لأنني أتوقع أن يظل جوار القط طينة الأسبوعين.

إن أكره المصايف. شعور غريب بنتابني بأن الناس هناك تؤدي واجباً، وإلا فيم تصف هذه الوجوه القمصة المليئة بالملل التي تجلس في الشمس الحارقة، مغطاة بالرمال تسمى أن ينتهي هذا كله؟

لهذا مرث أيام المصيف ثقيلة مملة، حتى عدنا إلى القاهرة وقد صرنا
زموجاً من قبائل الماساي.. أخيراً ذهبت مع أبي إلى شقة المهندس وكان
هناك لحسن الحظ رحب بنا ثم غاب بديقة وعاد حاملاً الأخ (ميشو) في
صندوقه الورقي.. وقال:

ـ بصراحة لقد احببته. لكن الأمانة يجب أن ترد

ـ هل ضايقتك؟

ـ إنه مسالم كالملائكة (ميشو) لن يضايق بابا أبداً

عدت إلى البيت معتنة وقال أبي إن المهندس شخصية معنزة ظلت
أعتقد هذا حتى جاء الليل لا أعرف كيف ولا لماذا صرحت من نومي لكنه
ذلك لتأثير الغريب الذي تبعته فيك عينان تحملان فيك وأنت تائم. كان
(ميشو) يقف على الوسادة يتأملني في عمق وشات بصراحة نظرة
مفرعة فعلاً...

وفجأة رأيته يفرس أليابه في ساعدي الذي كان على الوسادة أنت
تعرف مداعبات القلط وبعضها قد يكون ثقيلاً، لكن هذا الوعد كان مصراً
واثقاً مما يفعله كان يريد انتزاع قطعة لحم. وللمرة الأولى اضطرت
إس أن اخبره بالوسادة على رأسه ليتزن ساعدي.

في اليوم التالي ركض ورائي في الصلاة وقد أرجع أدنيه للطف
بتلك الطريقة الشيطانية التي تجيدها القلط كان يمشي على أظفاره
وقد قوس ظهره وصارت حركاته (بالورب) هذا تأثير تمارسه القلط
كثيراً لكنه يزول فوراً لأنه موع من الدعابة، لكن هذا القلط بدا لي كشيطان
دي فراء يطردني في الصلاة بالفعل لم يتركني قبل أن يمشب أليابه
في كاحلي...

الأسوأ أنه لم يعد يأكل السمك على الإطلاق، وقد قام بعد يومين
بعض أمي عضمة قوية جداً كانت هذه هي الفترة التي بدأ كابوس السعار

يطاردني فيها. ماذا لو كان المرض اللعين أصابه؟ ربما قر من الدار
وعضه حيوان آخر؟

صديقك البيطري نفى هذا الاحتمال تمامًا. هنا يبقى احتمال آخر هو
أنه تعلم شيئًا ما عند (محمود سراج) ما هو؟ كيف يمكن أن تفسد
طبخ قط مذهب؟

رحمت أفكر في الأمر مليًا. ثم قلت لها إن الحل الوحيد هو أن يسأل
(محمود سراج) نفسه. قد يكون لاحظ شيئًا غريبًا على القط
عندما كان هنده.

هكذا اتجهت معها إلى تلك الشقة في الجبابة الشقة التي يعيش فيها
ذلك المهندس الوحيد منذ زمن. دققت الباب مرارًا فلم يرد أحد. كنت
أنصرف لولا أن لاحظت تلك الرائحة الكريهة الخارجة من وراء الباب.. لا
أحب أن أستعجل الشر لكن هذه القصة تبدو مألوفة.

كلام مع الدواب. فرعات متوالية على الباب. محاولات مع الهاتف
في النهاية الاتصال بقسم الشرطة، ومساعد الشرطة الملول المتعجل الذي
لا يرى داعيًا لكل هذا الهوس. قال لي

“لا يمكن أن نفتحم البيت من دون إذن قانوني لكن يمكنك أن تفعل
على مسئوليتك”

هكذا طلبت من (نرمين) أن تبتعد ورحمت والبواب نصرب الباب بكتفيننا،
ثم أحضر أحدهم عتلة اغتصبها بها القفل. أمرت (نرمين) أن تبتعد على
حين ندخل مساعد الشرطة ومعه شرطيان إلى الشقة كريهة الرائحة

هناك اسمنت.. هناك إماء يقوم أحدهم بحلط المونة فيه هناك (مجارة)
وكور ماء جف ما فيه.. هناك جثة مهندس في الخمسين واقعة على الأرض
وقد بدا من الرائحة أنه توفي منذ يومين أو ثلاثة مهندس أصيب بتوبة
قلبية من قرط الجهد وهو يعيد سد تلك العجوة في الجدار لا بد أن

ممارسة هذا العمل العضلي كانت عسيرة جداً على رجل اعتاد الجلوس طيلة حياته

الفجوة التي رأينا ما بها. لابد أن القط هو الذي بدأ البش والتقيب هنا مدة أسبوعين، وهو الذي وجد ما وجد، وتعلم أن يأكل أشياء عربية جداً عيرت من طباعه للأبد..

لقد حسبنا المهندس (محمود) أعرب. الحقيقة التي عرفناها وعرفها القط قبلنا أنه أرمل!



أحلام أحلام

(أحلام) الآن تحطم..

لا توقظوها من فضلكم..

من المصادفة العجيبة أن ينطبق اسم علي صاحبه بهذه الدقة، لكنك يا (أحلام) كنت بالفعل تحلمين طيلة حياتك، ولئن كان العلماء يقولون إن المرء يقضي ستة أعوام من حياته في الحلم (بمعدل ساعتين كل ليلة)، فإن عمرك يتلخص في سلسلة من الأحلام تتخللها لحظات تفتحين فيها عينيك.

لسوف تغمضين عينيك، ولسوف لا تعانين أي أرق. لست من الطراز الذي ينقلب في الفراش عدة ساعات، وبالتأكيد لا تعني كلمات (سهاد) و(مفروح الحس) أي شيء في قاموسك. بالنسبة لك كان النوم دومًا هو أن تضلطي على ذلك الزر في وعيك فتعيين عن الوجود

زوجك كأن يقول إنك متبلدة الحس بالنسبة له يقترب ذكاء الروح بشيء من العذاب الداخلي. يقترب بالأرق. لكنك في الحقيقة كنت تشعرين أنك أذكى في العالم الآخر.

سوف تغيبين عن الوعي..

وفي هذه اللحظة نستكملين الحلم الذي بدأ منذ أيام. ها هي ذي الحديقة البوابة الصديقة التي تصدر صريرًا مرعًا في كل ليلة تضطربين إلى اختيارها وسماع الصوت ذاته ثم ذلك المرعبين الأشجار. هدار! لقد مرت أفعى على قدمك منذ يومين، فمن الخطأ أن يتكرر هذا ثانية غصون أشجار تتدلى وتحمش وجهك. حاولي ألا تجرحت. أعرف أن هذا حلم، لكن من قال إن بكتريا التيفانوس لا تنسل للأحلام؟ ربما كانت الأحلام معقدة وربما لا..

ها يأتي الجزء الحاصل بالقط القط الأسود الذي يقف معترضًا الممر إنه ضخم شرس كما كان في كل ليلة سابقة أدناه مبتعثتان ويطلق ذات الصوت الأقرب للضحك محيف هذا الصوت وينذر بالويل. لكنك سوف تعبرين.. تعرفين أنك سوف تعبرين..

تبحثين حولك عن حجر شيء يصلح لدفنه على هذا الشيء، ويبدو أنه يالف هذه الحركة جيدًا لأنه يفر على الفور هذا غريب لكنه يحدث كل ليلة

سوف تواصلين رحلتك في هذا المعرك الضيق
هنا تجددين تلك الفتحة التي تغلقها بأفدة عند مستوى الأرض . نافذة
مقسفة زجاجها مهشم، تغلقه خيوط العنكبوت.

سوف تبهرين - وأنت لا تفهمين لماذا تفعلين ذلك - لتوارمي النافذة...
آخر شيء تريديه هو أن تدفعي جسدي إلى الداخل. لكنك تفعلين..

الآن صار جسدي في الفراش متوترًا. إن جفنيك يحتلجان، وأصوات
غريبة تخرج منك. إنها مرحلة (حركة العين السريعة REM) التي يتم
فيها الحلم. سألت عنها د. مصطفى الطبيب النفسي فقال لي إن العلم
لم يعرفها قبل عام 1952. اكتشفها العائدن (كلايتمان) و(أرسينسكي).
وزعموا أنها مهمة لنمو المخ ولتدعيم ذكريات اليوم. هنا يرتفع ضغط دمك
وتردد سرعة ضربات القلب. هذا نوم لا علاقة له بالراحة. إنه (النوم
المتناقض). وفترته تزداد طولًا كلما كان الكائن أضعف، لذا يكون أغلب
نوم الأطفال REM. من المعتاد أن تفقد العضلات قوتها في هذه المرحلة،
ولا تكرر النائم ذات ما يفعله أثناء الحلم..

لهذا تأتي بحركات كأنك تقذفين حجرًا على الأرض. كأنك تحشرين
جسدك في الكرة الضيقة. هذه هي اللحظات التي تثير ذعر روجك.. في هذه
اللحظات يشعر أنك كائن شيطاني وأنت موشكة على قضم حنجرته.
د (مصطفى) قال لي إن أدوية الاكتئاب تغطي فترة الـ REM هذه،
وهذا يساعد في شفاء الاكتئاب. لكنك تتعاطين هذه الأدوية وبرغم
هذا لم تتخلصي من تلك الفترة الصاخبة. قال لي د. (مصطفى) كلامًا
مهمًا عن مادة DMT التي يفرزها مخك الآن مسببة الحلم... إنها
في ثروتها أثناء الحلم وقبل الموت مباشرة. فهل الموت ضرب آخر من
الحلم (إن)؟

أنت تمزقين إلى الداخل. إلى المكان الذي تهاسبه والذي تعرفين
تفاصيله من كل الليالي السابقة

ضوء الصباح سوف يقودك. ضوء الصباح الخافت ورائحة
الكبروسين المتصاعدة منه. والشموع الدلابة المحترقة

سوف تربيتهم هناك تلك المنصبة الطويلة الحتيقة. عليها المصباح
وعليها الشموع وهم هناك يظفرون لك منتظرين قدومك.
"تعالني يا أحلام.. لماذا تأخرت؟"

طبقك هناك على المنصبة.. طعقك.. كريك

سوف تعرفين وجوههم جميعًا.. جدتك.. صحيح أن عبيدها لم تعودا
هناك صارنا مجرد قبعوتين، لكنك تعرفينها. أبوك يجلس جوارها وقد
تساقط أنفه ولم يتخلص من الأكفان بعد.. سوف تلقين تعليقاً مهدباً عن
أن المرء لا يجلس على مائدة الطعام وهو ملغوف بالأكفان. البواب العجوز
الذي تساقط نصف وجهه هنا.

كلهم هناك وينتظرونك..

كلما حكيت هذا لأحد ارتجف دغراً معنى الحزم أنهم ينتظرونك
لالتهام طعام الأبدية معهم. هذا الحلم لا ينتظر تفسيرات.

لكن - للغريب - أنت تسعبي مقعداً وتجلسين وفي نهم تملئين طبقك.
ياكلون البازلاء. لكنها بازلاء عديمة المذاق... هل لهذا معنى ما؟

في الهدى قال أساتذة اليوجا إنا نعلم لسبعة أسباب الأحلام هي ما
رأيناه ما سمعناه ما خبرناه.. ما نتمنى أن نجربه.. ما نحن مرغوبون
على أن نجربه ما تخيلناه ما هو طبيعة في جسمنا

السبب الثامن في رأيي هو أن نطم بلا سبب يفسر ذلك.

تلثممين البازلاء.. وزوجك حائف.. لأنك تصفدين في يومك ذات
الأصوات التي يصدرها المرء إذا أكل البازلاء..

بعد الأكل ترفعين رأسك عارفة أن اللحظة المرهوبة قد جاءت. أنت
أكلت أكل الموتى فلا غرامة إن صرحت منهم.

ترقدين على المنصبة كما في الليالي السابقة. ترقدين على بقايا
الطعام.. لا تريد أن يحدث هنا. ولا تعرفين ما الذي سيحدث. فقط لا
تريدين، لكنك عاجزة عن الاعتراض أو قول أي شيء

في لحظة كهذه كنت تقرين من عالم الكابوس. كنت تصفين في الليالي
السابقة. تصحين صارخة في الفراش والعرق يغمرك، فيجلب لك زوجك



كوب ماء .. لكنك لا تصحين هذه الليلة . إلى متى سينوم الكابوس ؟
لا تريدن الانتظار حتى تعرفي ما ينتظرك

إنهم يرفعون السكين . دقائق قلبك تتعالى وضغط دمك يرتفع . هذه هي
اللحظة التي يموت فيها مرضى القلب أثناء نومهم لأنهم عاشوا في الحلم
مع عاشه سواهم في الحقيقة . في الصباح يجدونهم موتى ويطلقون عليهم
Dead in bed عبارة مسجوعة جميلة لكنها لن تقيك في شيء
أحلام (أحلام) ليست ممتعة يوماً

هذه هي اللحظة التي اقتحم فيها المكان حاملاً بك المشعل العملاق .
يظنرون بي بعبونهم الحرقاء أو المذاكلة في بلاهة . لكني أهوي بالمشعل
على أوجوه وعلى الأكفان .

من أين حدثت أنا؟.. لا أعرف . فقط أعرف أنني ظلمت وقتاً طويلاً في
فراشي أحاول النوم . لست مثلك يا أحلام . لا بد من أن أتعاطي بعض
(هيدرات الكلورال) كي يزورني السعاس . لا بد من كوب نبي لا بد من
موسيقى هادئة لا بد من كتاب عمل . وعندما أغلق النور لا بد من أن أفكر
في شيء رتيب لكنه بهيج . وبرغم هذا يظل الوسواس يطاردني انتظار
قدوم اليوم . هذه هي الطريقة المثلى لطرد النوم . لا بد من إفراغ مثائلي
بعض مرات .. لا بد من أدعية لا بد من سعال.. في النهاية لا أعرف كيف
صبرت هناك ولا كيف حملت المشعل .

المهم إنني فعلت هذا ورحلت أحرق هؤلاء المحتشدين حولك أمس لم
أتمكن من إيقادك لكني لن أفضل اليوم .

زوجتي كذلك تكره هذا الجرم . لأن عيني تبدها الحركة السريعة
تعرفها من اهتزاز جفني ومن كلامي أثناء النوم . ومن الحركات التي
أطيح بها بالمشعل في وجوه الموتى..

سوف أتذك يا أحلام .

سوف أجرك من يدك ميتما يروي هؤلاء وهم يحترقون والدخان
والدهن السائل يسيل منهم . سوف أجرك إلى معراجي مليء بتسيج
العناكب . سوف تفر الفئران فوق أقدامنا من فضلك! ليس الوقت



وقت الخوف الهستيرى الأنثوي المعتاد من القفران. وطالبت؟ لا
مشكلة لن تصرب وجهك أبدًا صدقيسي. إنها تملك أحجرة
رأيا مقننة .

سوف نعرف من هنا..

لماذا أكلت طعام الموتى يا بلهاء؟ لقد صرخت لهم. لو أخذوك مني فلن
أتمكن من الاعتراض..

ما هذا؟ لماذا لا تجربين؟ لم يعد لك قدمان؟ نعم أرى هذا بوضوح
لقد صرخت أقصر قمة وصار ثوبك يجر على الأرض المغيرة كلا قدمك
موجودتان لكنهما التحتان لتتحولا لقطعة من العجين. هذا يحدث كثيرا
في الحلم. سوف أحملك لا مشكلة في الحلم أنت لست ثقيلة على
الإطلاق. إننا نعيش حلمًا لكننا نعرف أنه حلم. هذه هي الأحلام المتجلية
Lucid dreams التي هي أسهل أنواع الحلم على المفسرين.

لماذا يسيل المر علينا؟ إنه ليس ممراً إنه كائن حي لزج ونحن الآن
في بلعومه قدمي تغوصان في المادة اللزجة بينما تسيل علينا من أعلى
لقتل قميصي ثمل وجهك .

في نهاية المر أرى الوحوش. هذا وجه أبي هل تريه؟ وجه
عمتي إنهم يعدون لي مائدة أخرى لكني لن ألتهم منها شيئاً حتى لو
كنت أحب البارلاء

اعرف أن المر يبهار وأما لن نبلغ نهايته..

اعرف أن الأرض تنوب تحت قدمي..

لكن كل شيء لم ينته بعد. لا تصرخي ستكون هنا عذاً وسوف نجد
مخرجاً من هذه الورطة هل تريدن رأيي؟ ربما ما كان علينا العزير
عمر هذا المر لم يكن هناك مخرج سواء، لكني الآن أسمع صوت الجرس
الطويل يمرق اعصابي وأعرف أنه كان هناك مع أقر واسم يبدو أكثر
أماناً. لماذا لم نره؟.. لأننا نعلم يا حقا..

نحلم.

تدرون!

وأما الآن في الفراش أرتجف وأبحث عن زر المنبه اللعين.. فليخرس.
فليخرس.

لكن الربيع لم يصمت. هذا إذن منبهك الخاص.. فلتحرسيه لأنه
يرعجنني. فلتنهضي وتعددي الطعام لزوجك. موعد مدرسة الأطفال
ضغري شعر (مي) و(مها) وابحثي عن حذاء (عمرو)
لا تنسي أنكم ستزوروننا الليلة..

سوف تأتيين لدارنا أنت وزوجك والأطفال.. وسوف أراك للمرة الأولى
في حياتي.. سوف تجلس في الصالون تثرثر وتشعر بنوع من الحميمية،
لكن مظاهرات المراهولة لي لا تفارق وجهك كلما انشغلت عنك فوجئت بك
تتظريين لي.. سوف يحكي الزوج عن الأحلام القريبة التي تهاجم الدام.
ولسوف تضحك جميعًا.

سوف تدخلين المطبخ مع زوجتي تثرثران، بينما زوجك يصالني عن
طبيب نفسي بارع لزوجته طبيب بصلي للمريض ولا يكتفي بكتابة
(البروزاك)... فأمنه بسؤاله مصطفى..

سوف أنهض للحمام، وبينما اغادره أقامك خارجة من
المطبخ لثرتبكين.

سوف أسالك يا أحلام بصوت هامس:

“هل أنت جزء من حلمي أم أنا جزء من حلمك؟.. وكيف يدخل
حلمي إلى حلمك في كل ليلة؟.. ماذا سوف تفعله الليلة عندما يبهار العمر
تحت أقدامنا؟”

سوف يحمر وجهك، وتقولين في كبرياء:

“.. (محفوظ). أنا امرأة متزوجة ومحترمة من فضلك لا تدخل
أحلامي أبدًا بعد اليوم.. هذا ليس من حقك حتى إن كنت تتنقذ حياتي لو
رأيتك هذه الليلة في حلمي فليسوف يتصرف زوجي معك..”



الحفل

لم أكن راغباً في ممارسة الاجتماعيات في هذا البلد، فقد كان انطباعي أن هذا يدخل في نطاق اللهو، وأنا لم أدفع ملياً في رحلتي هذه. لقد تحملت الدولة معقات سفري وعلي أن أكون أميناً مع كل مليم وكل ثانية. أعرف أن هذا تفكير مثالي جداً وأن الناس كنت عن التفكير بهذه الطريقة منذ عام 2500 قبل الميلاد، لكنني من الطراز المعتيق ولا أستطيع أن أتغير..

لم يكن هذا حفل تعارف.. بل هو عيد ميلاد يقام في الرابع والعشرين من إبريل..

تلقيت البطاقة الرقيقة الأنيقة من الدكتورة (كرامب) فكان علي أن أجد عذراً للتخلص، إلا أن من كانوا من مصر معي قالوا لي إن هذه قلة ذوق وإن علي أن أكون لطيفاً مهذباً. الدكتورة (كرامب) أستاذة الأدب فائقة الشهرة، وتعتبر هي سبب قدومي لهذا البلد..

أولاً لم تكن عندي أية ثياب تصلح. كل ثيامي تبدو كأنني كنت في السوق منذ عشر دقائق قبل أن يجلبومي هنا. وأنا أعرف أن الدكتورة (كرامب) أرسقراطية ولعلها من سلالة هذا الأمير أو هذا الملك من ملوك البمسا. يكفي أن ترى حصلة الشعر الأبيض في مقدمة رأسها لترتجف.

تطوع أحد الأخوة المصريين بأن يستأجر لي بذلة سهرة أنيقة. لا أعرف ما هو الفراك لكنه غالباً هو هذا الشيء من المحتوم في القصص أن يرتدي الرجال الفراك وأن تكشف النسوة عن صدورهن في الحفلات

ثانياً. ماذا عن الهدية؟ لن أذهب لحفل عيد الميلاد لأقدم لهذه الدكتورة الأرسقراطية علية من الجاتوه. لكن المصريين قالوا إن علي أن أقدم لها هدية رمزية ذات طابع فرعومي.. هذا سوف يسعدك أكثر من قلادة ماسية. أعطاني أحدهم مفتاح حياة بروترياً اشتراه يوم ما من (خان الحليبي) وهو يفي بالغرض وأكثر. هكذا دعوت للفراغة الدين يعطوننا هبة في أي مكان في العالم

توجهت إلى الحفل كما قيل لي في تلك الليلة الليلا..

سوف أريكم من تفاصيل الحفل ذاته.. حفل فاخر يقام في حديقة مع إضاءة ليلية، كشافات.. حمام سباحة. رقص. منضدة طويلة عليها

أصناف الطعام والكوكيتيل.. تذكر حفل الزفاف هذا أو ذاك الذي حضرته
لقريبك الثري، وأشعرك بالتضاؤل.. يمكنك الآن أن تتصور الحفل الذي
كنت فيه، مع ملاحظة أن قريبك الثري ليس ثرياً ولا أرسقراطياً على
الإطلاق إذا قورن بهذا الحو..

موسيقى شتراوس تسمعها للمرة الأولى في الجو الذي كتبت من
أجله خصيصاً لا أعرف شكل شتراوس لكنني لن أندم لو كان هو
الذي يقود الفرقة الآن..

أما عن كرامب نفسها، فكانت تعضي هنا وهناك تحبي هذا وذاك.
مرت رأسها لي وألقت على رأسي الكثير من حروف الشين والحاء،
هاتها على (الرايخشتاج) لا بل على (الجيورستاج)، أحلط بين
الكلمتين والفارق بينهما مروع، وقدمت لها مفتاح الحياة فهشت وبشت،
ثم تركتني لتواصل المعاملات..

هكذا شعرت بما يشعر به الموظف المصري عندما يوقع في دفتر
الحضور والانصراف ويصير على استعداد تام للتزويج.

كان هذا عندما وجدت تلك العجوز امرأة عجوز جداً لم أر أسس منها
في حياتي، وقد اندمشت لأنها هنا ولم تنم بعد. كانت ترندي ثوب سهرة
أحمر أبيض جديراً بمذلة جمال، وتقف جوار مائدة الكوكيتيل نحاول بعيني
لا تريان أن تقتصر شيئاً.

دوت منها وعرضت عليها بأناسيتي العرجاء أن أساعدها. شكرتني
وطلعت أن أناولها زجاجة الروم، الزجاجة التي استقرت وسط عشرات
الزجاجات الأخرى في بار هائل يتوسط المائدة وقالت الحبريون
- "أمس الروم لأن محتواه من الكحول عال الشعبانيا للأطفال!"

أصابني الدهول. ما ولتها ما تريد وتراجعت بيما هي تصوب
الزجاجة بيد ترتجف إلى كأس تحملها ما رالت هذه المرأة ترغب في
بعض الانصراف برغم أنها جثة تتحرك بالرمبرك. ما أعرب الإنسان!
قالت وهي تحاول التصويمية:

"لقد انتهى كبدي تماماً يقول الأطباء إنه صار كتلة من الليف. لهذا
لم يعد المزيد من الروم قابلاً لإيناتي..!"

رأيتني لحدق فيها فأردفت.

“أنت تفعل مثل ابني. جئت معه هنا وأعطيتك ألف وعد بالآأس
الخمر، لكنه الآن منتهك في الرقص مع فتاة إلهاسية جسناء. من يعرف
أسدا ما لم تحبده أنت”

وانهجرت في الضحك كاشعة عن أسنان جديرة بالأساجرات. أعني
فجوات أسنان طبعاً

هكذا وقفت أراقبها بعض الوقت، ثم تركتها حيث هي واتجهت إلى ذلك
الممر الذي يقود إلى الخارج. سوف أسترده معطفي وأعود للبيت الذي
أقيم فيه مع صديق مصري، لأعمم بنوم هادئ حتى الصباح. لقد قمت
كما قلت لك بالتوقيع في كشف انحصور!

مشيت في الممر، هنا وقعت عيني على ثوب سهرة أحمر يبدو ممبراً
من القريب أن يوجد ثوبان من ذات النوع في حفل واحد. لكن لربما
كان الجميع يستأجر ثيابه من ذات المتعهد.

كان ظهر صاحبة الثوب لي. ربما كانت أجمل من صاحبتنا هذه
بالفعل استدارت و... لا، إنها هي! هي ذات العجوز التي كانت تقف
جوار المائدة تشرب الروم! تنظر لي بعيني لا تريان تقريباً ثم ترفع
كأساً إلى شفيتها بيد ترتجف وترشفها.

كيف استطاعت هذه العجوز بطيئة الحركة أن تسبقني إلى هنا؟ أنا
مسن لكن ليس مثلاً. ثم إن الممر ضيق. لن يمر اثنان فيه من دون أن
يربب بعضهما.

لا بد أن هناك طريقة أسرع للوصول إلى هنا من الطريق الذي اتحدثه
على كل حال ليس من شامي أن أعرف كيف جاء كل واحد إلى المكان
الذي هو فيه.. هكذا تهيأت للاتجاه إلى الوصيغة التي تحتفظ بالمعاطف،
لكن استوقفتني منظر مصل. هناك رجل مسن يقف في وضع رشيق عارداً
دراعه وبالدراع الأخرى يبدو كأنه يطوق خصر امرأة هوائية لا وجود
لها على صوت الموسيقى القادمة من بعيد يرقص يرقص برشاقة
وجمال لا شك فيهما. لو كان أصغر سنًا لكان أحد هاتين البانتومايم
المحبوبتين في أوروبا كلها



وقفت أرقيه، ولاحظت أن عدداً من الواقفين التفوا حوله وهم يصاحبون حركاته بالتصفيق والضحك. كان يرقص ويرقص. ثم توقف لاهثاً بحث بين الوجوه فالتفت عياله بي..

قال لي وهو يتأبط ذراعي:

..هل أنت عربي؟ أعرف هذا النمط من الوجوه عربي أو باكستاني لكن لا شعرك خشن. لا يوجد باكستاني شعره خشن أبداً أنت عربي ما اسمك؟

..محفوظ.. أنا مصري..

..أنا كنت عندكم في العلمين مع (روميل) منذ.. منذ أكثر من نصف قرن. هل (موتجمري) العجوز ما زال حياً؟

..أنت أدري مني يهد لكنه مات على كل حال..

..الكل يموت لقد احتلعت الأمور لم أعد أعرف من الحي و من الذي مات..

عرفت أنه في مرحلة حرف الشبحوحة حيث لم يعد يذكر أي شيء على الإطلاق. لكنه اقتناني عننا إلى الطفل، ثم توارى بين الراقصين استدرت لنهاية الأخرى فوجدت!

ما هذا؟.. كيف عاد؟.. ومتى؟

كان يمشي وحده وهو يأتي بحركات راقصة ويحك عصفه الذي امتلا بالنمش والبقع رأيت يقترب من تلك العجوز السكرية ذات الثوب الأحمر، فوقف معها يثرثران.

وقفت أراقب المشهد في حيرة مصع دقاتي..

ثم استدرت لأراقب الراقصين، فرأيت العجوز السكرية ترقص مع هذا الجدي السابق! ما الذي يجري هنا؟ أنا لا أشرب الخمر لكن هل أبجرتها، يمكن أن تؤثر في عقلي لهذا الحد؟ لم أسمع عن هذا من قبل.

..لا تظهر أنت لاحظت! هذا أفضل!

استدرت من جديد لأجد دكتورة (كرامب) تقف خلفي وهي تصيح إسبغاً على شفتها..



قلت لها:

“أنا فقط متدهش من أن..”

قلت في فهم:

“نعم.. رأيتهما مرتين.. هنا مفهوم.. سوف تقابل هذه التجربة عدة مرات الليلة..”

ثم أضافت وهي ترفع خصلة الشعر الأشيب من جبينها:

“أعتقد هذا لأن عيد ميلادي في الرابع والعشرين من إبريل. ليلة صياد القديس مارك حسب كل المعتقدات الشعبية. منتصف الليل هو الوقت الأمثل. حدث هذا في عامين متتاليين ثم صارف عدة بعدها وعندما أن أماسا كثيرين يحضرون عيد ميلادي لهذا الغرض بالذات إنها تجربة مخيفة مثيرة لكن الفضول البشري لا نهاية له.”

قلت وأنا أهز رأسي في عدم فهم:

“لا أفهم حرقاً..”

قالت:

“لأنك لا تعرف ما هو Doppelganger أو القرين وهي لفظة ألمانية معناها (الساخر المزدوج) المعتقد الشعبي يقول إن القرين يظهر في هذه الليلة بالذات، أما لماذا في حفل عيد ميلادي فأمر لا يعرفه إلا الله في هذه الليلة يأتي الناس الحفل ويرقصون ويسكرون، وهم ينتظرون ما سيرونه عند منتصف الليل.. من ير نفسه في هذا الحفل، يعرف أنه رأى القرين الخاص به، ومعنى هذا أنه سيموت هذا العام!..”

“هذا.. هذا شنيع!”

“نعم، لكنه مثير كذلك. كل الناس تأتي لعيد ميلادي أملة ألا تقابل نفسها، والأروع أنك تعرف يقيناً من الذي سيموت! أنت تعرف دعابة القاص الذي يقول لجنوده المائة أتوقع أن يموت منكم 99 جندياً في هذه العملية.. عندها ينظر كل جندي لرفاقه ويقول لنفسه يحزنني فقد الزملاء! هذا هو ما يحدث هنا!”

“لكن هنا يعني أن العجوزين...”

"كلما لاحظ هذا ، ليس الأمر قدرة سحرية على التواجد في مكانين .
الأمر يتعلق بأن القرين الخاص بكل منهما موجود في ذات الحقل . ومن
رحمة السماء بهما أنهما ضعيفا النصر . كل الموجودين رأوا وعرفوا
لكنهما لا يعرفان هذان البائسان سيموتان هذا العام . لن يكونا هنا في
عيد ميلادي القادم!"

كانت فكرة مروعة .. لا أستطيع تصديق هذا . لكنني بالفعل رأيت
العجوزين موتين ، ومن المستحيل أن يكون من رأيته هو الشخص ذاته
لكن .. هذا لا يدل على شيء . منذ ميلاد البشرية وهناك توائم في كل
مكان ، وهناك أربعون شخصا يشبهك كما قال أجدادنا
قلت لها ضاحكا:

"لا أصدق حرفاً من هذا كله يا دكتورة . انت تعرفين أن العلم
لكنها لم تكن تصغي . كانت تنظر في ذهول وبهشة إلى شيء حلف
ظهري .

استدريت لأرى ما هناك فرأيت ذلك الرجل الذي يلبس الفراك ويمشي
بين الموائد وقد بدت عليه الحيرة وعدم الارتياح . رجلاً ذا ملامح عربية
أو باكستانية . لا ، هو حشيش الشجر . إنه عرسي . لا شك في هذا
هو لا يشبهني
إنه أنا!

ملحوظة ناشر الأوراق: بما أننا نعرف أن د . محفوظ قد توفي
بعد هذه الواقعة بأربعة أشهر ، فإسماً لا نملك تكميل هذه القصة بقلب
مستريح . صحيح أننا لا نملك تصديقها كذلك ، لكنها كالعادة لمرآة من
الغاز ذلك الصندوق العجيب الذي تركه لنا د . (محفوظ) . الألفاظ التي لن
نعرف حلها أبداً..



مقهي بين الأشجار

أكره السفر ليلاً بشدة.

عندما يتسلل النعاس إلى عيني وأسند رأسي على المقعد الذي أمامي رأسي الذي صار يزن طنين رأسي المسكين الذي يدق كجرس من أجراس المعابد البوذية أغمض عيني. عندها فقط أتذكر أنني عاجز تماماً عن النوم في أية وسيلة مواصلات نعم يمكنني النوم بصعوبة في القطار والطائرة، لكن من المستحيل أن يجد النوم سبيله لبائي في سيارة كلما بنا من الباب ومد يده ليفتحه سقطت السيارة في مطب أو دوت الفرملة، وهكذا يتراجع النوم مذعوراً وينتظر على بعد مترين من الباب بانتظار فرصة أخرى. فرصة لا تأتي أبداً

الأصواء تلتصق على الوجوه من حين لآخر مبهرة تؤذي العينين وتجعلك تحكما الدمع يحتشد في عينيك مع لعنة قصر البصر الشهيرة. الشعور بأن هذا كله حلم غير حقيقي..

الأسوأ أن تجلس خلفك في السيارة تلك المرأة حسنة الصوت التي تحكي لجارها ممساة قصة ما، هموت موم يجعلك تشعر بدوار

تراقب الطريق على سبيل التسلية لكنك تشعر بالدعر، وتخاف أكثر لأنه ما من أحد يلاحظ ما تلاحظه، ويخاف مما تخافه

ربما كان الأفضل أن تنام. هنا نتذكر أن لست ممن يقدرين على النوم في وسائل المواصلات!

وهكذا .

كنت مضطراً لذلك لأن موعد آخر قطار قد فاتني منذ زمن وكان ذلك السائق يقف في الميدان مفادياً الناس أن ينتهزوا الفرصة الأخيرة لهذا وثبت مع الناس وأنا أترك أن ساعتين من العذاب تنتظرانني في شغف..

تسلك السيارة. الفاتحة للنبي يا اخواننا نوصل بالسلامة رجل
ملتج يقول إن دعاء السفر هو الاصح..

جو عام من التوتر والترقب.. السائق يقود بسرعة جمونية فعلاً
تتلاعب الذكريات في ذهنك. تتذكر أشياء وتنسى أشياء شريط
اليوم بكامله يدور في خيالك المصرف وبلك الخطأ في الشيك
المدرس الخصوصي لامتك ومشادة مع أخي زوجتك. عداد الكهرباء
وفاتورة الهاتف

لا تعرف كيف نمت إنها لعجزة. لقد نمت

.....

فتحت عيني بعد نوم لا أعرف كم طال

كنت في حال غريبة بين الإفاقة والتناس وبطرف عيني رأيت
السيارة التي كما نركبها واقفة إلى جانب الطريق..
أما المكان الذي أنا فيه فمقهى . مقهى أقرب إلى تعريف (الغرفة)،
من تلك المقاهي التي يعج بها الطريق السريع حيث يدخل السائقون
المعسل وربما أشياء أخرى..

مقاعد من الخيزران متناثرة خارج المقهى الضيق. وهناك مصبة
يقف حلقها شاب نحيل منهمك في صنع القهوة وهناك ثلاجة عتيقة
بها مياه عارية.. هناك بعض نباتات ظل مزروعة في صفائح صلبة..

جواني مائدة صغيرة عليها كوب من شاي ثقيل. كوب متسخ
ببصمات الأصابع وبقايا الشاي لكسي كنت في حاجة إليه أريد أن أفق
قليلاً .

الإضاءة خافتة اللهم إلا من كlob معلق خارج المقهى يلتف حوله
الذباب، ويصدر صوت (تش ش ش) المميز. وهناك مصباح واحد
داخل المقهى..

حولنا أشجار كثيفة فقط ترى السيارة بين فرجة منها. ولو نظرت
لأعلى لرأيت سماء سوداء كالمخمل..

كان ركاب السيارة كلهم من حولي. متبثرين على الموائد يشربون
الشاي أو القهوة أو الحلبة، وبعضهم يدخن الشيشة.. أعني البوري أو
الجوزة طبعًا.

جاء الفتى القهوجي الذي يعلق مريولة على خصره ويحمل صينية
متسعة مبتلة فمسح المائدة جواري وسألني بلا اكتراث
- "هل من شيء آخر يا استاذ؟"

قلت عليه سائلًا.

- "ماذا يحدث هنا؟.. متى جئنا؟"

كان سؤالاً غريبًا بالطبع، وقد نظر لي في حيرة واتهام صامت
بالخبال، ثم قال:

- "مشكلة بسيطة في السيارة. أرسلوا في طلب ميكانيكي. لا تقلق.
يبدو أنك نمت طويلاً"

إلى أنا كنت في حالة نوم غريبة لم أعدها من قبل. كنت نائمًا
عندما تعطلت السيارة وعندما مرلوا منها، وعندما مشوا لهذا المقهى،
وعندما جلست وطلبت شايًا.
- "وأين نحن بالضبط؟.."

كنت قد نمت ونص قرب بنها لكنه قال لي:
- "نحن في أرض الله الواسعة. لا تقلق. هل تنوي الدفع الآن أم
ستسحب المزيد؟"

نظرت لكوب الشاي الممتلئ وقلت في غضب

- "أنا لم أشرب أول طلب بعد"

”كما تحب.. لكن انكر الله في كل وقت بدلاً من جلستك الصامته هذه..“

وانصرف بيما ظالت أرمق من حوالي جاء مجموعة من الناس والقوا السلام.. واضح أنهم من الريف وأنهم تجار. جلسوا وطلبوا شايًا وشيشة فيما قال أحدهم وهو يرمع الجلباب عن ساقه

”لم يكن الأمر صعبًا الرحلة سهلة ممتعة وهناك مقهى كذلك“

قال آخر:

”بصراحة كنت أخشى ما سترأه..“

راح الأول يتمحس ساقه المشعرة، ولاحظت أنها مجروحة بعنف. لكنها لم تكن تمزق.. رفعت عيني فوجدت زميله بجرح بالغ في رأسه غريب هذا إن تحمل هؤلاء التجار لعالم حقًا.

لاحظ أحدهم أنني أطيل النظر فقال بصوت غليظ.

”لا تقلق يا أستاذ لكن هل جرحت أنت؟“

هل يجب أن أكون جريحًا؟ قلت:

”لا“

”أفضل شيء أن تكون قطعة واحدة، صحيح أن هذا لا يحدث فارقًا

لكن الإنسان يكره أن يرى لحمه ممزقًا أو جريحًا.“

قال آخر:

”نحمد الله أنه لا يوجد نزف..“

قلت وأنا أبحث عن الهاتف المحمول:

”ربما كان من الأجدر أن أطلب لكم الإسعاف“

هنا تدخل الفتى القهوجي الذي جلب الشيشة ومعها صينية محملة

بأكواب الشاي:

“لا تتعب نفسك يا استاذ.. كله مكتوب.. هم الآن في امان حقيقي.”

هنا رايت سائق السيارة التي كنا بركبها يمر امامي . صحت اناديه فمظرتي وانتسم ثم واصل مشيه بين الموائد. قلت في عدم فهم
“لعله يبحث عن مكان يقصي فيه حاجته.”
قال القهوجي.

“لا داعي لذلك. لكنه دفع الحساب وصار حرًا سوف يواصل الرحلة”

“يرجل؟ هل اصلح السيارة؟ واين الباقون؟”
“سيرجل. لكن ليس بالسيارة يا استاذ. امثاله لا يحتاجون إلى عجلات وانت هل تدفع الآن؟”
“كم؟”

راح يجمع ويطرح كأسى القهمت عشاء كاملاً، ثم قال في النهاية إن حسابه جنيه واحد. مدت يدي في جيبى أبحث عن الجنيه وبعض البقشيش. لم أجد شيئاً هناك ورقة بمائة جنيه
“ليس معي سوى ورقة بمائة..”

ضحك في خبث وهو يرفع الكوب العارخ من أمامي
“يا بك. لو كان معي مائة جنيه لاسترحمت من هذه المهنة لكن يمكنك الانتظار بعض الوقت فلربما وجدت فكرة هل اخبرك بعض الحيلة بالعليب؟”
“ليكن”

وبحثت بعيني في المقهى الذي جلس زبائنه في الضوء الخافت . ربما كان مع أحدهم فكرة . هذا الرجل كان يجلس جوارى في السيارة وكان مائتاً منذ البداية نهضت نحوه وسألت عن



كان نائمًا.. لكنني رأيت عنقه كان مشيًا بطريقة لا يمكن وصفها ولا
يمكن أن تراها على إنسان حي لكنه كان حيًا شفتاه تتحركان
بدأت أترجع للخلف فاصطدمت بالقهوجي الذي كان يقف يراقب
المشهد في استمتاع.. قال لي

.. أنت قلق وحائر يا أستاذ لا أدري لماذا لا تقبل الأمر مثل الآخرين؟
سوف تجلس هنا بعض الوقت وتبادل الكلام مع الآخرين ثم تدفع
الحساب وترحل هكذا يفعل الجميع كله مكتوب صدقني
نظرت هولي وسالت من جديد:

.. "أين السائق؟"

.. "قلت لك إنه رحل لقد كان أول من رحل."

.. "لم يأخذ السيارة."

.. "لم يعد هناك داع للسيارة!"

هذه المرة تملكني الهلع فاطلحت بالصينية التي يحملها وهرعت
أجري خارجًا من ذلك انقضى الغامض. أسمع صوته يصيح (الحساب
يا أستاذ الحساب!) . أجتاز حزام الأشجار المحيط بي لأرى الحقول
المظلمة وفوقها حزام النجوم البكر. صوت صرصار الحصى وقيق
الصفادع السيارة تقف كالشبح في الظلام.
ما معنى هذا؟ . هناك معنى لكنني أحشى أن أقوله
تعثرت وسقطت وفقدت الوعي..

هذا أنا. أفتح عيني هناك من يركع جواربي. هذا القرص
الملور يبعث أضواء مجنونة هي كل مكان. ما هذا الزحام؟ ما
هذا الصوت المولود بلا توقف؟. سرية؟. هناك من يمسخ شيئًا دافئًا
عن وجهي..



صوت مفاة تغرد. رجلاي يحملاني ليضعاني فوقها
أنظر حولي. هذه جثث. جثث دامية متناثرة على جانب الطريق.
وهناك بقع دم. هذا هو السائق. لن يقود سيارة بعد اليوم.
إنهم يصعقوني في سيارة الإسعاف. رجس بشارب كث يصيح علي
ويقول.

”حمدًا لله على السلامة. كله مكتوب. لقد نجوت بمعجزة السيارة.
دارت حول نفسها ثلاث مرات ثم اصطدمت بشجرة.“
”والمقهى؟“ المقهى الذي تحيط به الأشجار؟

نظر لي في عدم فهم ثم قال:
”حاول أن تستريح. أي مقهى؟ لقد وقع الحادث بين طوخ وبينها.
لا توجد مقاه قريبة.“

نظرت لسقف عرمة الإسعاف الذي تركض عليه الأضواء. لحظات
من الشرود ثم سمعت الرجل ينظر من المائدة الخلفية ويقول:
”ليلة سوداء هي. هذه عربة مصف نقل ثقيل بعض تجار الخضار.
ماتوا جميعًا. زملائي أخبروني على الهاتف.“
كنت أفكر في هذا كله.

المقهى لا وجود له. هلاوس زارتي وأنا منقى على الأسفلت بين
الموت والحياة. لكنني أعرف ما هو أفضل. أعرف يقينًا أنني كنت هناك
فعلاً. وأن الآخرين ذهبوا هناك أيضًا. كله مكتوب. كلهم شربوا
جرعات أخيرة من الشاي. ثم دفعوا حسابهم ورحلوا.

لماذا أنا هي؟ ربما لأنني لم أدفع حسابي. لأن الورقة ذات المائة
جنيه عطلت ذلك. لكنه دفع الحساب وصار حرًا. سوف يواصل
الرحلة. ”أمثاله لا يحتاجون إلى عجالات.“

وما زلت حتى اليوم أرتجف هلعًا كلما دنت السيارة من بنها،
وبعيني أفتش عن ذلك المقهى بين الأشجار.. أعرف أنه موجود. أعرف
أنني سأزوره يومًا ما وسوف أشرب الشاي.
لكنني في تلك المرة سوف أجد معي ما يكفي لدفع الحساب. أعرف
هذا يقينًا

نظرية الفتاة الأخيرة

"أنا الفتاة الأخيرة لهذا سانجو..

أنا فتاة.. هذه نقطة

أنا بريئة ظاهرة.. هذه نقطة أخرى. لم يمسنني بشر حتى هذه اللحظة، ولم تلمس شفاتي لعافاة تبغ ولم أتعاط أي شيء من تلك الأشياء اللعينة (نحلاء) كانت تدخن. أعرف هذا يقيد (مها) كانت لا تمنع في شرب البيرة وترغم أن البيرة ليست حراماً. قلت لها إنها تهدي.. البيرة حرام وتحتوي على كحول، فإن أرادت أن تشربها بعد هذا الإندار فهي مشكلتها

(عبير) تعرف الكثير من الفتية هي لا تريد سوى أن تترك حلاً لا يتحقق في نفس كل شاب. تترك جوعاً لا يشبع تترك ظمأ لا يرتوي. هي تتسلى ولهذا هي تستحق ما يحدث..

لا تنس كذلك أن اسمي (عصمت). اسم غير شائع لكنه يقع بالسيط بين الجنس.. هذا عامل قوي آخر.

أخرج إلى الحديقة المطمعة أمشي فوق العشب الرطب هناك صمت شديد ولا توجد موسيقى تصويرية متوجسة لكن هذا لا يبعث الطمأنينة في النفس كما نعرف لأنه من الممكن في أية لحظة أن..

تدوي الصرخة صرختي أما طبعاً في هذه الحالة، والسبب أن قدمي تعثرت بجثة طرية مبتلة نعم مبتلة.. إنه كل هذا الدم الرأس مهشم بشيء ثقيل أما الملامح فلامح فتاة (مها) (عبير) مالدات كنت أعرف هذا. صمت الموسيقى يدل على وجود مفاجأة قدرة إنه في البيت في مكان ما هنا..

أهرع نحو باب الحديقة لكنني أرى ذلك الظل هناك. يدهس برغم أن هذا يجعل بقعة الضوء مرئية بوضوح ويجعلني أعرف أنه ينتظري هناك. لكن لأم من التدخين ليصفي عليه ثبات أعصاب لا يمكن الخروج من هنا.. سوف أراجع.

أجري إلى الدب الخلفي الذي يقود للمطبخ هذا البيت غربي الطابع
لذا هناك باب للمطبخ أفتح الباب لكني أتعثّر في شيء طري آخر هذا
(عادل)! (عادل) مقتول على باب المطبخ هناك من قطع حلقومه أرى
هذا في الضوء الحامئ.

(عادل) أيضاً لم يكن بغيًا جدًا أعتقد أنه بشكل ما استحق ما
حدث له.

أنا الآن في المطبخ المظلم. لا يمكن أن أضيء النور. سوف أبحث في
هذه الخزانة عن سكين. فقط السكين العملاقة اللامعة سوف تمسحني
بعض انطماسية أفتح الخزانة ولكن هناك شيء ضخم يدفع نحوني
يثب في وجهي صرخته ووثبت للخلف

وعندما نظرت إلى الأرض أدركت أنه قط قط ضخم يتمسح في ساقي
ويبدو أن المسكين مدعور أكثر مني. لكني أعرف قواعد هذه الأفلام:
الخصبة الأولى تأتي من القط، لكن ظهور القطط ينذر بالهجمة الحقيقية
دائمًا فقط تأتي هذه الهجمة عندما يسترخي البطل ويهدأ

مرصنتي في النجاة عالية جدًا على كل حال أما أول اسم في تترات
الفيلم، وأما القناة الأخيرة واسمي (عصمت). سوف أبحر

رحلت أردو ببني وبين نفسي (كانت فكرة سوداء. كانت فكرة
سوداء) عندما اقترحت (هدى) أن تدعو صديقاتها وأصدقاءها في
الكلية إلى عيد ميلادها هذا. في بيت أسرتها المعزل في المقطم بدت لي
فكرة سخيطة غريبة الطابع ولكن الأمسية كانت ممتعة مع (مها) و(عبير)
و(نجلاء) و(مي) وبعض الأولاد المهرجين مثل (شريف) و(عادل) أهل
(هدى) لم يكونوا موحودين بدت لي الصنكة عربية جدًا وتأكدت من
صواب رأيي عندما برئت (هدى) إلى المدروم لتحضر بعض زجاجات
المياه الغازية لتضعها في الثلاجة بدلًا من تلك التي شربناها. هنا دوت
صرختها المرعبة هرعنا لرى ما هنالك فوجدناها معلقة من خطاف في
المدروم. خطاف يخترق عنقها كإن الكلب ينبج بقوة في الحديقة فخرج

(ماهر) ليري ما به. سمعنا صرخته هنا فقط أدركت أننا في فيلم مثل (الصرخة) أو (هالوين) أو (أعرف ما فعلت الصيف الماضي) أو (مذبحة ميشمار الشريط في تكساس). وأدركت أن هناك سفاخاً بيننا من قواعد أفلام الرعب أن من يذهب ليعرف سحب نباح الكلب لا يعود أبداً
تأكد ظني عندما حاولنا طلب الشرطة . شبكة المصنوع معطنة
والهاتف العادي مقطوع فلنفر من البيت يا شباب نركض حتى أقرب بيت للجيران.

لكن الباب موصد (الم يكن مفتوحاً منذ دقائق؟) الفواخذ موصدة .
مكدا تصرفنا بالحماقة المعهودة في الأفلام وتفرقنا وكل واحد من يبحث
عن طريقة للفرار لا أعرف ما فعله الآخرون لكنني أعرف أن (عادل)
(وعبير) هلكا لقد وجدت سلماً صغيراً في القبو استطعت عن طريقه
الخروج إلى الحديقة لكن من الواضح أنني لم أفر بعد لقد عدت للبيت
يجب أن أخرج من المطبخ قبل أن تأتي الخصة الثانية خصة ما
بعد ظهور القط...

هرجت من المطبخ فوجدت حثة على الأرض! لقد صار هذا مملاً من
هرو؟ يمكن بشيء من الخيال أن أترض أنه (شريف). لكن لن أمر فوق
جنته لا تمر أبداً فوق حثة في الأفلام لأنها تصبح نحاة وتمسك بكاحلك
لو حدث هذا لكان (شريف) هو القاتل وهو الآن يتظاهر بأنه ميت
هكذا وثبت من فوقه ومظرت للخلف فأدركت أنه لا يمثل . لا أحد
يمثل وعنف بهذا الشكل.

درجات السلم تقود لأعلى إلى غرف النوم. لكن أولاً لابد من عمل
شيء يقطع الطريق على القاتل. وإلا فإن افتقاء أثري إلى الطابق الثاني
عمل شديد السهولة هرعت إلى الحعم الموجود في أعلى الدرج فتحت
وبحثت كالمجنونة عن زجاجة الصابون السائل. خرجت متقطعة الأنفاس
إلى أعلى الدرج وأفرغت الزجاجة على الدرجات الرخامية . ثم عدت
وملات بلواً من الماء سكنته. في الإضاءة الخافتة سوف يصعد السفاخ

اسلم دون روية وسوف يقاجأ ما قدميه تطويرا في للهواء لا اعتقد انه
سيموت لان الحياة ليست بهذه السهولة، لكنه قد يصاب إصابة بالغة
هرعت إلى غرفة النوم. فتحت الباب. هنا سقطت جثة كانت مستندة
إليه. هاتان العينان. إنها (سجلاء) أطلقت صرخة مكتومة ووثبت فوقها
إلى داخل الحجرة. ماذا أتى سجلاء إلى غرفة نوم (عسير)؟ لا شك أنها
كانت تحسبها محبباً آمناً، يودو إنني أكرر ذات الخطأ..

الهاتف المحمول هنا على الفراش.. فلأجرب مرة أخرى. مصادفة
سريعة لأن تتعطل كل هواتفنا المحمولة لكن المشاهد قد يقبل ثغرات كهذه.
إن الهاتف المحمول قد جاء ليفسد نصف سيناريوهات الرعب على الأقل
سوف يكون مصير نصف أفلام الرعب القديمة هو سلة المهملات، لأن
مفتاح للرعب رقم واحد هو العزلة.

الهاتف معطل فعلاً هذا يشير إلى أن القاتل له صفة خوارقية ما
ربما هو الشيطان أو شبح سفاح عاد من القبر. فقط أمثال هذين يقدر
على تعطيل شبكات المحمول كلها.

هنا ورقة وقم. ساعلى الباب واجلس وأدون هذه الأحداث لأرتب
أفكاري بسرعة...

أب الفتاة الأخيرة الآن صرت واثقة من ذلك الفتاة التي تبقى
حية بعد هلاك الجميع والتي تواجه القاتل. هناك نافذة سيبدأ أمريكية
ابتكرت هذا المصطلح بعد ما شاهدت هشة من أفلام الرعب، وكتبت
كتاباً اسمه (رجال ونساء وماشير) لاحظت ابتادة أن من ينجو في
آخر أفلام الرعب بعد هلاك الجميع هو عتاة عتاة طاهرة لم تلتوث
واسمها يصلح أن يكون تذكر أو أنثى (مثل عفت وعصمت عندما)
في البدء يشاهد الناس الفيلم بعيني القاتل، وهي تطلع سادي لأن يظهر
القاتل بالفتاة، لكنهم في نهاية الفيلم يتوحدون مع الفتاة ويتمنون
أن تنجو. هذا غريب لكنه حقيقي.. أي أن المشاهد يغير حسسه أثناء
مشاهدة الفيلم. مظة الفيلم كذلك عندما تواجه السفاح فإنها تغير

جنسها لأنها تتزود بسلاح وهو رمز ذكري.. سوف تقتل القاتل بسكين
أو فأس أو مطرقة...

أنا سأنجو لأنني بلا خطايا ولأن اسمي (عصمت) ولأنني أنثى..
ماسورة الصرف المجاورة للنافذة والقادمة من الحمام. سوف يصعد
لي القاتل وعندها سوف أثب وأنزلق على هذه الماسورة إلى الحديقة وأثب
فوق السور.. سوف أركض في الشارع وسوف أجد سيارة أجرة أو
سيارة دورية شرطة حتمًا..

عندما يأتي رجال الشرطة سيشرحون لنا لماذا فعل القاتل ذلك...؟..
من هو؟

أسمع صوت الارتطام القوي على السلم.. لقد حاول الغبي الصعود..
هنا وجد أن الأرض تنزلق تحت قدميه. طار في الهواء فإن كنت سعيدة
الحظ لحطم رأسه. لكنني أعرف هذا النوع من القنلة. لن يموت بسهولة
أبدًا.. سوف أجد أمامي خلال دقائق برأس دامية وجنون أكبر..

نعم.. الآن وقت النزول على الماسورة. لو دخل الغرفة فلن يمنحني
الوقت الكافي للفرار. هيا بنا...؟

فرغ النقيب (عمر) من قراءة الرسالة فوضعها جانبًا وجرع جرعة من
كوب الشاي. ثم أشعل لقافة تبغ ونظر لي قائلاً:
"ما رأيك يا د. (محفوظ)؟.. دكتورة (عصمت) كما قيل لنا كانت
تلميذتك"

قلت له وأنا أسترجع فقرات الخطاب:

"يقول أوسكار وايلد إن الطبيعة تقلد الفنان.. يبدو أن أقلام الرعب
جعلت السفاحين يتصرفون على طريقتها لا على طريقتهم. رأيت أمس
عاشقين يقفان في ملل على الشاطئ يرقبان الغروب.. واضح تمامًا أن
كليهما لا يرغب في ذلك. لكنهما مجبران لأن السينما علمتهما أنه لا يجب
دون مشاهدة الغروب.."

قال وهو يضع الخطاب في ملف:

“على كل حال خابت نظرية الفتاة الأخيرة.. لقد انفصلت ماسورة الصرف وهوت هي من حالق لتهشم رأسها.. ليرحمها الله.. ما رأيك في د. (عصمت)؟”

“هي عبقرية.. عبقرية حقيقية، ويبدو أن النقد الفني صار طبيعة ثانية لديها.. أحياناً يعبر العبقرى الخط الفاصل فيصير شيئاً آخر.”

قال وهو يدفن لقافة التبع في المطفأة:

“نعم.. نعم.. كل هذا العالم والحفل والأصدقاء والسفاح لا وجود لهم.. لقد عاشت هذا كله وخلقتة وهي وحدها في غرفتها في المصحبة النفسية. لم يخطر ببال هؤلاء الأغبياء أن يضعوا قضباناً لقافة الغرفة.. ولكن هل تؤمن حقاً بنظرية الفتاة الأخيرة هذه؟”

لذت بالصمت.. ترى متى ينتهي الكابوس ويبدأ الواقع؟.. ليست قصتها الحقيقية هذه نواة ممتازة لفيلم مخيف؟.. فيلم أكثر واقعية وإرغاباً من أفلام (الصرخة) و(كابوس في شارع إلم) و(هالوين)؟.. ربما نحن أبطال في فيلم مرعب طويل جداً ولا نعرف ذلك... المشكلة أننا لا نعرف ذلك وبالطبع لا نتقاضى عن تعطينا أجراً...

الفهرس

| | |
|-----|----------------------------|
| 5 | المقدمة |
| 7 | المقبرة رقم 34 |
| 17 | سوء تقاهم |
| 25 | أعرف جيداً |
| 33 | ليست على ما يرام |
| 43 | اسمي ليس (محمود) |
| 53 | أنا والكلب |
| 61 | كنت هناك |
| 71 | يوم الأحد الكئيب |
| 81 | لأنها رقيقة |
| 91 | زائر الليل |
| 101 | بيضة ودجاجة |
| 109 | الباكية |
| 117 | همس الموتى |
| 127 | سن روبينسون |
| 137 | مسكينة |
| 147 | عاشق اللوحات |
| 157 | سترييس |
| 165 | القط الذي انحرف |
| 175 | أحلام أحلام |
| 183 | الحفل |
| 191 | مقهى بين الأشجار |
| 201 | نظرية الفتاة الأخيرة |

الآن

نفتح الصندوق

2



د. أحمد خالد توفيق

MOHACT

ما زلنا مع الصندوق العجيب الذي تركه لنا .. محفوظ ..
تذكرون أن الرجل مات فقيرًا فلم يترك لنا إلا هذا الصندوق
في قبو داره .. الصندوق لم يفرغ بعد فما زالت فيه حكايات
وملاحظات عن تلك القصص الغريبة التي مرت به في
حياته .. من جديد اقربوا .. تعالوا نفتح الصندوق الآن ..
تعالوا نشعل شمعة تبديد ظلام القبو ونطالع قصة جديدة
من تلك القصص ..

rewayat2.com

الكويت
2009

